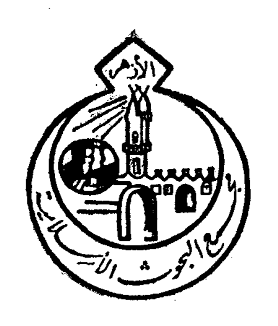


الإسلام والشباب

دراسة تحليلية لتربية الأبناء
في ضوء الكتاب والسنة

بقلم الأستاذ الدكتور

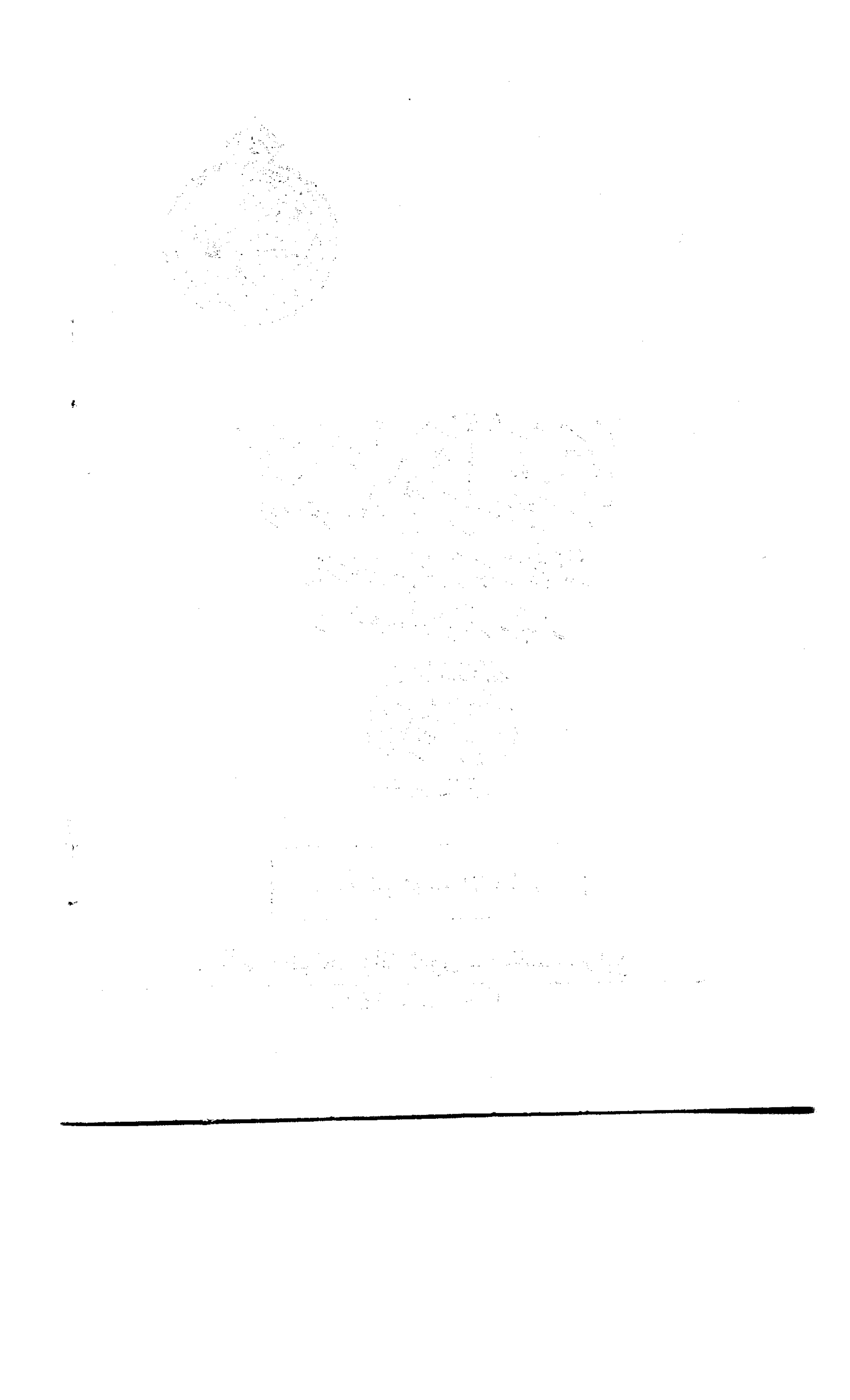
أحمد عمر هاشم

رئيس جامعة الأزهر

سلسلة البحوث الإسلامية

السنة الواحد والثلاثون ـ الكتاب الرابع

١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠ م



بسم الله الرحمن الرحيم

تقــــديم

لفضيلة الأمين العـام لمجمع البحوث الإسلامية

الحمد لله رب العالمـين والصلاة والسلام على إمـام الأنبياء والمرسلـين ، سيدنا محمـد المبعـوث رحمـة للعالمـين ، وعلى آله وأصـحابه والتابعين وتابعيهـم بإحسان الى يوم الدين ٠ وبعــد :ـ

فقـد أولى الإسلام عناية كـبيرة بالشباب ، لمكانته وأهميته فى الحياة ودوره ورسالته فيها ، فالشباب هم عدة المستقبل ، وأمل الأمة ، وسواعدها الفتية ، لذلك عنى الإسلام عناية فائقة بتربية الشباب دينيا ودنيويا معا ، وتزويدهم بعلوم الدين والدنيا ، وقد استطاعوا بفضل هذه التربية الجامعة أن يشيدوا حضارة رائعـة قدمت للعـالم زادا ثقافيـا علميـا كان هو الأساس فى تطور الحضارة الحديثة كلها ٠

وهذا الكتاب « الإسلام والشباب » للأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر قد تناول فيــه

بالدراسة والتحليل مراحل الشباب بدءاً من مرحلة الطفولة لأهميتها فى التكوين والتأثير الى مرحلة النضج والرجولة ، كما تناول هذا الكتاب دعوة صادقة الى الشباب أن يتفهموا دينهم على حقيقته ، وأن يترسموا معالم الطريق على هدى ونور ، كما عنى المؤلف بإبراز أسباب الإنحرافات التى تصيب الشباب، ورسم الطريق لعلاجها ، وقدم لنا نماذج طيبة من شباب الإسلام .

ولما كان هذا المؤلف القيم قد نفذت نسخه من أيدى القراء ، كان هذا مدعاة لإعادة طبعه من جديد لما فيه من النفع الكثير ، والخير العميم .

نسأل الله العلى القدير أن ينفع بهذا الكتاب كل من التمس علما ، وأراد خيرا ، وأن يجزى مؤلفه خير الجزاء بما قدم للإسلام والمسلمين .

والله الموفق والهادى الى أقوم سبيل ،،،

السيد وفا حسن أبو عجور

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.
أما بعـد :

فللشباب فى الإسلام منزلة كريمة ، وأهمية بالغة ، ولـذا نجد عناية الإسلام بتربية الشباب ، وبتوجيههم لسبل الحق والهدى عناية قصوى .

فهم أمل الحاضر ، وعدة المستقبل ، وعليهم تنعقد الآمال الـكبيرة .

وإذا كان للشباب هذه الأهمية فى الإسلام ، فإنهم فى هذه الآونة أشد حاجة الى التوجيه والتحصين من الفتن والغزو الفكرى ، والتقاليد والعادات الوافـدة ، حتى يظـلوا بفطـرة الإسـلام النقية ، وتعاليمـه السمحة ، ينتظمون فى صفوف خير أمة أخرجت للناس .

وفى هذا الكتاب ، حاولت تتبع مراحل الشباب ، منذ مرحلة الطفولة الى مرحلة النضج والرجولة ، مستنيرا فى كل ما كتبت بكتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ ، وما كان عليه سلفنا الصالح ٠

فجعلت الفصل الأول : عن المرحلة الأولى وهى مرحلة الطفولة ، لأهميتها فى التكوين والتأثير ٠

ثم جعلت الفصل الثانى عن المرحلة الثانية ، وهى مرحلة الشباب ، فألقيت عليها الأضواء من الكتاب والسنة ، وكشفت عن أسباب الانحراف ، ووضحت كيفية العلاج مبتغيا بذلك وجه الحق ، وراجيا الله أن يحمى شباب الإسلام من كل غزو فكرى ، وأن تكون هذه السطور هادية الى الحق والى صراط مستقيم ٠

د ٠ أحمد عمر هاشم

الفصــــل الأول

الإســـــلام والطفـــولة

رعاية الطفولة فى الإســـلام

قبل أن نتناول معالجة موضوع الشباب ، وقبـل أن نتعرف على المشاكل المحيطة به ، والحلول التى ينبغى أن تكون ٠٠ قبل كل هذا ، ينبغى أن نتحدث عن مرحلة دقيقة تسبق مرحلة الشباب ، وهى مرحلة الطفولة ، لما لهذه المرحلة الدقيقة من أهمية بالغة فى حياة الشباب ونشأته ، وفى عاداته وتقاليده وتربيته ٠

وللطفولة فى الإسلام منزلتها الحبيبة ، وأهميتهـا الدقيقة ، فقد عنى الإسـلام بهذه المرحـلة من عمـر الإنسان ، فحباها بالـكثير من الرحمة والعطف ، الى جانب الصقل والتربية ٠

وفى ظلال الدين الوارفة ، كان لهذه المرحـلة مـن الحياة أبعاد حانية ،تدفقت القلوب خلالها بعواطف من الحب ، سكبته مع فجر تلك المرحلة ، بما أودعه الله فى الأعماق من صلات الروح والدم ، حتى كانت النظـرة الى الأنبياء ، تعنى النظرة الى داخل الكيان النفسى أو أكثر ، وحتى أحس بعض الشعراء بأن أبناءنا هـم أكبادنا فقال :

وإنمـــا أولادنـــا بيننـــا

أكـــبادنا تمشى على الأرض

ولأهمية هذه المرحلة ، نجد تفاضل الأمهات بمقدار ما يقدمنه من حنان وإشفاق ، ورعاية وعطف، وبمقدار ما يقمن به من واجبات الزوجية ورعايتها ٠

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « نساء قريش خير نساء ركبن الإبل أحناه على طفل وأرعاه على زوج فى ذات يده » (١) ٠

ولقد أعطى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه مثلا كريما فى الرحمة والعطف بشأن الأطفال ، فكان يختصر القراءة فى الصلاة ، ولا يطيل اذا سمع بكاء طفـل ، مع أن الصلاة حبيبة الى قلبه ، وهى قـرة عينه ، ولكنها الرحمة والرأفة التى وصفه بها الله تعـالى فى قـوله : « لقد جاءكم رسـول من أنفسكم عزيـز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » (٢) ٠

ولنا فى رسول الله ﷺ أسوة حسنة ، فلقد روى أنه فى

(١) رواه مسلم ٠
(٢) سورة التوبة : ١٢٨

احدى الصلوات قرأ فى الركعة الأولى نحو ستين آية ، فسمع بكاء فقرأ فى الثانية ثلاث آيات ، وهذا من مكارم أخلاقه وسعة رأفته ورحمته .

عن أبى قتادة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال ، « انى لأقوم فى الصلاة أريد أن أطول فيها فأسمع بكاء الصبى فأتجوز فى صلاتى كراهية أن أشق على أمه »(١) .

هـذا وان الطفـل فى حياتنا نبت صغير لابـد له من الرعاية التى يرتوى فيها من عواطفنا المتدفقة بالحب ، كما لابد من المحافظة عليه من الآفات .. فاذا ما استوى عوده الريان ، بعيدا عن الأجواء الغائمة ، استطاع أن يستنشق عبير الحياة صافيا رقراقا ، وتفتحت عيناه على هـذا الوجـود الصغير من حـوله داخل الأسرة ، حيث الهـدوء الـوادع ، وحيث الاستقـرار والأمن ، فيقطع أشواط المرحلة الأولى منذ فجرها ، بعيدا عن العقـد النفسية ، بعيدا عن التوتر الأسرى ، فاذا بـه باسـم للحياة مقبل على دوره فيها بالأمل والعمل .

أما اذا كان الجو الأسرى حوله غائما ، وتفتحت عيناه على مؤثـرات نفسية تثيرهـا الأسرة ، وأحس بجفاف العواطف ، التى تتأرجح بها الحياة بين مد وجـزر ،

---

(١) رواه البخارى .

فإنه عندئذ يستشعر الضيق ، والملل والإعيـاء النفسى الذى كثيرا ما يترك فى حياته بعض الرواسب ٠

ومن هنا كان على الوالدين أن يعالجا مشاكلهمـا بسهولة ويسر ، ودون تصايح أو تظاهر أمام الأطفال وأن يجعلا من حياتهما مشاهد نابضة بكل ما هو حسن وجميل ٠

وفى رحاب الإسلام وجدت الطفولة كفالتها وأمنها ، فمن مشكاة النبوة استضاءت الأسرة المسلمة فى رعايتها للطفولة ٠

عن عائشة رضى الله عنها قالت : جـاء أعرابى الى النبى ﷺ فقال : أتقبلون الصبيان ؟ فقال النبى ﷺ : « أو أملك لك إن نزع الله من قلبك الرحمة » (١) ٠

وفى رواية : قال رسـول الله ﷺ : « من لا يرحـم لا يرحم » ٠

ولقد وعى السلف أهمية هـذه المرحلة من العمر ، باعتبارها نشأة أساسية فى الحياة ، وباعتبار أن صغار اليوم هـم رجال المستقبل ، فـلا يصح أن نهمـل تلك

---

(١) رواه البخارى ٠

البراعـم الناشئة حتى تنهـار معنوياتها وقواهـا مـع أعاصير الحياة ، أو تتساقط فى مهب الرياح ٠

واذا نظرنا الى رعاية سلفنا وعنايتهم بالطفولة ، فاننا سنلتقى بدروس باهـرة فى الحفاظ على الأبنـاء وكفالتهم ، وأمنهم واستقرارهم ٠

ذات ليـلة قدم المـدينة بعض التجـار فقـال عمـر ابن الخطـاب رضى الله عنه لعبد الرحمن بن عـوف رضى الله عنه : هل لك أن نحرسهم الليلة ؟ قال :نعم ، فباتا يحرسانهم ، فسمع عمر بكاء صبى فتوجه نحـوه فقال لأمه : اتقى الله وأحسنى الى صبيك ، ثم عاد الى مكانه ، فسمع بكاءه فأتى أمه فقال لها مثـل ذلك ، ثـم عـاد الى مكانه ، فلما كان آخـر الليـل سمع بكاء الصبى ، فأتى الى أمه فقال لها : ويحك إنى لأراك أم سـوء ، مالى أرى ابنك لا يقـر له قـرار منذ الليلة من البكاء ؟ قالت : يا عبد الله لقد أضجرتنى منذ الليلة ، انى أحمله على الفطام فيأبى ، قال : ولم ؟ قالت : لأن عمر لا يفرض الا للفطيم ٠ قال : وكم له ؟ قالت : كذا وكذا شهرا ٠ قال : ويحك لا تعجليه عن الفطام ، فصلى الفجر والبكاء يغلبه ، فلما سلم قال : يا بؤسا لعمر ، كم قتـل من أولاد المسلمين ٠ ثم أمر مناديا فنادى ألا

لاتعجلوا صبيانكم عن الفطام فانا نفرض لكل مولود فى الاسلام ، وكتب بذلك الى الآفاق ، انا نفرض لكل مولود فى الاسلام ٠

وإن رعاية الطفولة عند سلفنا أخذت مكانها الرحب، ووفرت لها تعاليم الاسلام ما فيه سعادتها وأمنها ، وما فيه هناءتها واستقرارها ٠

وتميزت هذه الرعاية بالتوجيه الحذر ، وبالتربية الهادئة الهادفة ، ولنقف مع مشهد آخر من مشاهد رعاية الطفولة ، هذا المشهد يجمع بين المراقبة والمحاسبة ، وبين توفير الأمن والسلام والراحة ٠

ولقد مر عمر بن الخطاب - يوما - فى المدينة فوجد بعض الغلمان يلتقطون بعض البلح من بعض الأفنية، فلما رأوه تفرقوا ، الا أن غلاما منهم ظل واقفا مكانه ، فلما اقترب عمر منه أسرع الغلام قائلا : يا أمير المؤمنين : ان هذا البلح مما ألقته الريح ، فقال له : أرنى أنظر اليه ، فان ما تلقيه الريح لا يخفى على ، فنظر الى البلح وقال : صدقت ، وفرح الطفل ثم قال : أترى هؤلاء الغلمان الذين هناك ؟ انهم ينتظرون أن أذهب وحدى فيغيروا علىّ ، ويأخذوا ما معى فضحك

عمر ، وربت على كتف الغـلام قائلا : أمض معى ، وسأبلغك مأمنك ، ويأخـذ بيـده ، ويسير الى جانبه حتى يصل داره ..

ونحن حيال هـذا الموقف الذكى ندرك ذكاء هـذا الطفل ، الـذى ظل واقفا فلم يلذ بالفرار لأنه يعلم أنه غير مرتكب لجرم ، لأن ما أخذه مما يتسامح فيه ، حيث ان ما تلقيه الريح قليل ويـكون مهملا ، ولكننا ندرك بجانب هـذا عناية عمـر رضى الله عنه فى تتبع هـــذا السـلوك حتى يتبين الحقيقة ، فلا يـدع الأمـور كمـا يصورها أصحابها ، فقال للغلام : أرنى أنظر اليه فان ما تلقيه الريح لا يخفى على ، مما لاشك فيـه أنه لـو تبين له غير ذلك لكان له تصرف آخر ، ثم نظرة أخرى حين علم أن الأطفال الآخرين يتربصون بهذا الطفل ، وتوقع منهم أن يغيروا عليـه أخـذه بيده حتى أبلغـه مأمنه .

* وليست رعاية الطفولة خاصة بأبناء المسلمين ، بل ان سماحة الإسلام ، وسمو تشريعـاته ودقتها لا تجيز قتـل الصبيان من أولاد المشركين اذا لم يشتركـوا فى القتال ، فاذااشتركوا يجوز قتلهم .

وفى السنة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام

من النصوص ما يجلى لنا هذه الحقيقة ، ويطلع كل من يثيرون حول الإسلام شبهة شهوة الحرب وامتشاق السلاح ، يطلعهم على سماحة هذا الدين ورعايته للضعفاء والأطفال ممن لم يباشروا حرب المسلمين .

قال رسول الله ﷺ : « لا تقتلوا الذرية فى الحرب ، فقالوا : يا رسول الله ، أو ليس هم أولاد المشركين ؟ قال : أو ليس خياركم من أولاد المشركين ؟ رواه أحمد .

وعن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : انطلقوا باسم الله وعلى ملة رسول الله ، ولا تقتلوا شيخا فانيا ، ولا طفلا صغيرا ، ولا امرأة ، ولا تغلوا ، وضموا غنائمكم وأحسنوا ان الله يحب المحسنين (١) .

الى غير ذلك من الأحاديث الشريفة التى تكشف عن طبيعة هذا الدين القيم ، وعن جوهره الكريم الذى اتسم بالسماحة واليسر ، وعنى برعاية الطفولة كلبنة أصيلة فى بناء الأسرة الاسلامية ، يجب أن نوفر لها الأمن والاستقرار ، وأن نكفل لها كل ما يحتاجه ، وليس معنى هذا أن نفرط فى التدليل أو نتغاضى عن أخطاء الأطفال دون توجيه أو تنبيه ، فان اهمال التربية أخطر عليهم من الحرمان .

---

(١) رواه أبو داود .

العناية بالأبناء من أول وهلة

إن عنايـة الإسلام بأمر الأبنـاء ، عنـاية عظيمـة ومبكرة ، منذ فجر ولادة الأبنـاء ، وتستمر معهم بعد ذلك ، فمن السنة : أن يؤذن فى أذن المولود اليمنى ، ويقيم فى اليسرى ، ويستحب أن يلقن الانسان ولده فى أول نطقة : لا اله الا الله ليكون التوحيد أول نطقة وأول كلامه .

ومن عناية الإسلام بالأبنـاء : تخـير الاسم الحسن ، فذلك من حق الولد على أبيه ، وفى الحديث ، يقـول رسـول الله صلـوات الله وسـلامه عليه : « اذا سميتـم فعبدوا » رواه الطبرانى والبيهقى . والمـراد بهـذا التوجيه النبـوى أن يسمى الوالد ولـده عبد الله ، أو عبد الرحمن وهكذا ، بالاضافة الى واحد من أسماء الله الحسنى ، ليظل فى الاسـم اشعـار واعلان بالعبودية لله . وليكون لأبناء المسلمين تمييز خاص عن غيرهم ، وأسماء تحمل أروع المعانى الاسلامية .

ومن الأسماء ما هو غير ذلك ، وهو لا شك حين يحمل

معنى حسنا ، أو يكون على اسم صحابى من الصحابة رضوان الله عليهم ، أو له معنى طيب ، فهذا أيضا حسن وطيب .

وقد ورد فى بعض الأحاديث ، أحب الأسماء الى الله. قال ﷺ : « أحب الأسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن » (١) .

ومن الأسماء ما كان على اسم رسول الله ﷺ مثل « محمد وأحمد » الا أن رسول الله ﷺ حين يأمر بالتسمية باسمه ينهى عن التكنى بكنيته ، فيقول صلوات الله وسلامه عليه : « تسموا باسمى ولا تكنوا بكنيتى » (٢) .

وقال العلماء: كان ذلك فى عصره ﷺ ، إذ كان ينادى يا أبا القاسم ، والآن فلا بأس، قال الإمام الغزالى : نعم لا يجمع بين اسمه وكنيته ، وقد قال ﷺ: « لاتجمعوا بين اسمى وكنيتى » (٣) .

كما دعا الإسلام الى حسن تخير الأسماء ، لأن الناس ينادون يوم القيامة بأسمائهم ، يقول رسول الله ﷺ :

---

(١) رواه مسلم .
(٢) متفق عليه .
(٣) رواه أحمد وابن حبان .

« أنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسمائكم » (١) .

ولكن ما الحيلة فيمن سمى باسم غير محمود ، أو باسم يكرهه ؟ نقول : أولا ، يستحب تغيير الاسم وتبديله باسم آخر حسن غير مكروه ، وقد أبدل رسول الله ﷺ اسم « العاص » « بعبد الله » (٢) .

ثانيا : يمكن ازدواج الأسماء ، بأن يكون للشخص مثلا اسمان ، وينادى باسمه المحبوب المحمود اذا لم يكن من الممكن تغيير الأول لدى من لم يعرف ، ومما دعا اليه الاسلام أن ينادى المسلم أخاه بأحب الألقاب والكنى .

* قال الله تعالى :

« ولا تنابزوا بالألقاب » . وهذا مثل بسيط جدا من الأمثلة الكثيرة التى عنى الإسلام فيها بشأن الأبناء .

وإذا كانت العناية بالأبناء بلغت هذا الحد فى الإسلام ، فإن لهذه العناية دلالة هامة بشأن الأبناء ، ذلك أن الطفل فى حياته الأولى ، وفى طفولته الضعيفة ،

---

(١) رواه أبو داود .
(٢) رواه البيهقى .

لا يملك من أمره شيئا ، ولا يملك من شأنه وشأن اسمه شيئا ، لذا كان على الآباء أن يعنوا بهذا الأمر ، وهو وإن كان فى ظاهره بسيطا الا أن له تأثيرا بعد ذلك على نفسية الطفل بعد أن يكبر ويخرج الى المجتمع ، فيظهر أثر التسمية السيئة فى حالاته النفسية بين أقرانه ٠

وإذا كنا نرى تعاليم الإسلام تدعو الى تخير الأسماء الحسنة للأبناء ، فليس المراد بحسن الأسماء ما يوافق هوى الناس أيا كانوا ، وعلى أية حال كانت مشاربهم وأذواقهم ، بل إن تخير الإسلام للأسماء الحسنة مثل له فيما سبق من الأحاديث ، كعبد الله ، وعبد الرحمن، وأسماء رسول الله ﷺ وأصحابه ، والتابعين وغيرهم من أصحاب الأسماء الحسنة ٠

ولا نطلق العنان لتخير الأسماء ، ولا ندعه لأذواق غير طبيعية ، تفرط فى تدليل الأبناء ، فتسمى بأسماء لا معنى لها ، أو بأسماء الغربيين ، وأسماء غير المسلمين فهذا خطأ فاحش ، وجرم شنيع فى حق الأبناء والإسلام٠

وليس أيضا من تخير الأسماء أن يشتق بعض الأهل كلمات أو حروفا من الإسم الأصلى لأبنائهم وينادونهم به ، تدليلا وزيادة فى إظهار الحب ، أو مسايرة للتقاليد الوافدة ، والأسماء الأجنبية والغربية ، فهذا كله بعيد

عن روح الإسلام ، وعن روح الجد والأصالة العـربية والإسلامية ، التى ينشأ عليها الأبناء منذ الصغر ، وبعيد عن الإسلام وتعاليمه ، فإن لنا معشر المسلمين شخصيتنا الإسلامية المتميزة .

الإسـلام ورعاية البنـات

اتضح لنا مما سبق رعاية الإسلام للأبنـاء ، وعنايته بهم من أول وهلة ، ونريد الآن أن نوضح هنا إنصاف الإسلام للأنثى ورحمته بها ، وإنقاذه لطفولتها البريئة مما تعرضت له فى الجاهلية ، من ظلم وتعسف وعدوان، واقامته للعدل بين سائر الأبناء من ذكور وإناث ٠

لقد كانت نظرة بعض النـاس للبنات فى المجتمـع الجاهلى نظـرة خاطئة ، امتد بهـا الخطأ الى درجـة الظلم والإجرام حيث أصبحت حياتها رخيصـة ، بـل تمثل عبئـا ثقيلا ، وعارا وسبة فى حياتهـم القاتمـة الغاشمة ٠

قال الله تعالى : « وإذا بشر أحـدهم بالأنثى ظـل وجهه مسـوداً وهو كظيم ٠ يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون »(١) ٠

(١) سورة النحل ٥٨ ، ٥٩

ولقد جاء الإسلام بهديه الواضح ، فأرسى منهج الحق والعدل ، وأقام أسس الإصلاح فى شتى المجالات ، فى الفرد والأسرة ، والمجتمع والأمة ، فى الرجل والمرأة ، وفى كل أفراد النوع الإنسانى ، الذى تقع على كاهله أخطر رسالة فى الحياة . وكانت النظـرة الإسلاميـة الحانية لطفولة الأنثى الـبريئة ، تشع الفا وهـدى ، وتكشف عن تلك النزعة العدوانية ، والظلم الفاضح ، الذى تدهورت به البشرية فى تلك الحقبة المظلمة .

لقد رفع الإسلام الظلم عن البنات ، ذلك الظلم الذى وصل الى حد أن يحمل البعض ابنته الصغيرة عـلى ذراعيه ، ليدفنها حية ، وهى على ذراعيه .

أية قسوة هذه القسوة ؟ وأية صورة من الغلظة تلك الصورة المهولة ؟ ماذا يكون حسابهم وعقابهم يوم أن يؤاخذهم الله على ظلمهم الكبير وعدوانهم الخطير .

يقول الله تعالى : « وإذا الموءودة سئلت . بأى ذنب قتلت » (١) .

لقد حرم الإسلام وأد البنات ، وهيأ لهن من أسباب الأمن والاستقرار ما يكفل الحياة المطمئنة ، وقرر لهن الحقوق العادلة ، والإنصاف التام .

---

(١) سورة التكوير ٨ ، ٩

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو ، وضم أصابعه » (١) ٠

وهنا نقف على القيمة العالية لتربية البنات ، وعلى مدى مكانة من يعول البنات ، إنه قريب من رسول الله ﷺ ، قريب من رحمة الله ، آمن من عذابه إذا استقام على الحق ، وأدى واجبه نحو بناته تربية وعناية ورعاية ٠

وإذا كانت العادات الجاهلية قد انمحت بانقضاء عهدها ، وبزوغ شمس الإسلام ، التى أضاءت طريق الحياة ، وأزالت كل التقاليد العفنة ، والعادات السيئة ، الا أن هناك بعض الرواسب المرة فى بعض المجتمعات البشرية ، وتلك الرواسب تتمثل فى تبرم بعض الناس واشمئزازه ، إذا جاءت له أنثى ٠ فلا يهش لها كما يهش للذكر ، ويستقبلها من أول وهلة على مضض ، ولا يقتصر الأمر عند هذا الحد فحسب ، بل إن البعض يتبرم بزوجه ، ويسىء معاملتها ، وكأنها بيدها شىء من الأمر ، مع أنها لا حول لها ولا طول ، ولا يملك هذا الأمر إلا الخالق القادر ، العليم الخبير ، الذى يفعل

---

(١) رواه مسلم ٠

ما يشاء ويختار ، وحكمته العالية خفيت عن العقـول، انه سبحانه وتعالى له ملك السموات والأرض ، وما دام له ملك السـموات والأرض ، وما دام له المـلك فهـو سبحانه يخلق ما يشاء ، ويهب من يشاء لمن يشاء ، فهو العليم بكل شيء ، وهو القادر على كل شيء .

قال سبحـانه : « لله ملك السـموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور . أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنـه عليم قدير »(١) .

والإنسان العاقل الذى يؤمن بالله حق الإيمان ، هـو الذى يفرح للأنثى كما يفرح للذكر ، ويعلم أن فى إرادة الله وحكمته الخير كل الخير ، وأن هـذا الأمر بيـد الله تعالى وحده ، وهو على كل شيء قدير .

ومن الصور البعيدة عن روح الإسلام ، المترسبة فى النفوس الضعيفة ، كراهـة البنـات ، وسـوء معاملة الزوجة بسبب إنجاب البنات .

وهـذا أبو حمزة الضبى عندما ولدت زوجـه بنتـا هجرها ، ثم حـدث أن مر على بيتها يوما فوجدهـا تقول لابنتها :

---

(١) سورة الشورى ٤٩ ، ٥٠ .

مــا لأبى حمـــزة لا يأتينــــا

يظــل فى البيت الذى يلينـــا

غضـبان ألا نـــلد البنينــــا

تا لله ما ذلــك فى أيدينــــــا

فلما سمع ذلك ارتدع الرجل ، وثاب الى رشــده ، وعاد الى زوجه ..

وان الله سبحانه وتعالى هو الذى يصــور الخلق فى الأرحام ، من ذكورة أو أنوثة ، ومن بياض أو سواد ، وهــكذا .

قال سبحانه : « هو الذى يصوركم فى الأرحام كـيف يشاء لا إله الا هو العزيز الحكيم »(١) .

وجعل الله لكل ذكر أو أنثى جزاء عمله ، ولا يضيع الله عمل عامل .

قال تعالى : « فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض .. »(٢) .

---

(١) سورة آل عمران ٦:

(٢) سورة آل عمران ١٩٥

وهكذا أنصف الإسلام كلا من الذكر والأنثى ، ونقى الإسلام حياة الأسرة من رواسب الجاهلية ، وأرسل ضوءه المبين الى دنيا الناس ، فوقف المسلمون على أمور دينهم ، وحرصوا على تعاليمه السمحة ، التى تأخذ بأيديهم الى شاطىء الأمان والطمأنينة .

وقد أنقذ الإسلام الطفولة البريئة ، والأنثى الضعيفة من الجهل المطبق ، والعدوان الصارخ ، الذى كان يتهدد النوع الإنسانى بالضياع والخسران .

ومن ذلك يتضح لنا أن الإسلام قد قضى على العادات السيئة من وأد البنات ، ومن بغضهن ، كما قضى على تلك الرواسب الأخرى من كراهة ولادة البنت ، وسوء معاملة الزوجة بسبب ذلك .

ولكن بقى شىء آخر ، من تلك الرواسب ، قد يكون أكثر انتشارا فى البيئة الإسلامية ، ويجب على كل مسلم معالجته ، ذلك هو : تفضيل الولد الذكر على الأنثى فى المعاملة ، ففى كثير من البيوت والأسر ، إذا كان فى الأسرة ولد وبنت ، نجد بعض الناس يؤثر الذكر على الأنثى ، ويظهر ذلك واضحا فيما إذا كان ولدا واحدا مع مجموعة من البنات ، فيجعل الأب أو الأم للولد معاملة خاصة ، وهذا يتنافى مع الجو الإسلامى ، ويتنافى مع مبادىء الإسلام .

وان العدل بين الأبناء مطلوب ، وله ثمرته وأثره فى التربية والنشأة ، وقد نادى الإسلام بالعدل بين الأبناء .

عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال : أعطانى أبى عطية فقالت عمرة بنت رواحة : لا أرضى حتى تشهد رسول الله ﷺ ، فأتى رسول الله ﷺ فقال : انى أعطيت ابنى من عمرة بنت رواحة عطية ، فأمرتنى أن أشهدك يا رسول الله ، قال : أعطيت سائر ولدك مثل هذا ؟ قال : لا ، فقال النبى ﷺ : فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم ، قال : فرجع فرد عطيته[1] .

---

(١) رواه البخارى .

الطفـــولة رائدة المستقبـل

وإذا تساءلنا : ولمـــاذا كل تلك العناية بالطفـــولة ، والاهتمام البالغ بها كما سبق ؟

فإن الجواب هو : لأن الطفولة هى المرحـلة الأولى للشباب ، ولأن الطفولة هى رائدة المستقبل ، فالعناية بها أمر ضرورى ، تمليه حاجة المستقبل ، وتلح عليــه دنيا الحاضر ، وتحفز نحوه عبر الماضى ودروسه .

أما بالنسبة للمستقبل ، فلأن أطفــال اليــوم ، هــم رجال المستقبل ، هــم العــالم والطبيب ، والمهنــدس والمدرس ، والقائد .. وهكــذا .

وأطفالنــا اليــوم فى مسئوليتنــا ، وغــدا يحملــون المسئولية ، وتلك هى سنة الله فى خلقه ، فليس لجيــل أن يعمر فى الأرض ما شــاء ، وليس لأحــد أن يعيش دنياه كما يريد من العمر الطويل والحياة الممدودة .

ولهذا فكل جيل يسلم الأمانة الى جيل ، وكل عهــد يترك الرسالة لمن بعده ، فإذا كان الجيــل السابق أو

العهد السابق واعيا للمستقبل ، ناظرا بعين الجد والإخلاص ، للأجيال اللاحقة ، عنى بالطفولة ، وأكد الوصية بها ، لأنها هى رائدة المستقبل ، فإن كان الأبناء مسلحين بالإيمان ، مستنيرين بالعلم ، مدعمين بالتجربة والوصايا والنصائح والخبرات ، وإذا كان الأبناء فى تكوينهم الأول أخذوا الطابع الجاد ، وتمرسوا فى خطى حياتهم على العلم والعمل ، والإخلاص والخلق الفاضل ، والتربية الإسلامية الصحيحة ، القائمة على العدل ، والقدوة قبل القول والتوجيه ، وقامت حياتهم على الإيمان بالله، وانتهاج منهاج الحق والعدل ، والجد والاجتهاد ، نهضت فى مستقبل حياتها ، وتسلمت الرسالة وهى قادرة على حملها ، غير هيابة ولا وهنانة ٠

وإذا كان الجيل السابق واعيا لحاضره معنيا به ، فإنه لا تشغله فيه مهمة عن مهمة، ولا رسالة عن أخرى، ولا ينسى فى زحمة الحياة وتكدس الأعمال والمطالب ، وضخامة رسالته ، وثقل أمانته ، لا ينسى مع كل هذا وذلك رسالته تجاه الطفولة ، ولا حقوقها ، لأنها بحاضرها ووجودها قد أخذت موقعا فى الحياة غيرها هو المسئول عنها ، وغدا تكون هى المسئولة عن غيرها وهكذا ٠

وإذا كانت العناية بالطفولة لها هذه الأهمية ، فإن أولى الأطفال بالعناية هم أولئك الذين فقدوا آباءهم، فهم أشد الحاجة الى الرعاية الدائمة ، والاهتمام الأكيد والصادق ، حتى نعوضهم عن الحنان الذى فقدوه ، والأبوة التى حرموا منها ، ولا يتأتى ذلك إلا فى جو يفيض بالرحمة ويعنى بالتعليم .

ولقد عنى الإسلام بالأيتام ، وبالتوصية بهم، والنهى عن احتقارهم أو قهرهم قال سبحانه : « فأما اليتيم فلا تقهر . وأما السائل فلا تنهر » (١) .

وبشر رسول الله ﷺ كافل اليتيم بمنزلة عالية ودرجة رفيعة ، انه يكون جارا أو قريبا من الرسول صلوات الله وسلامه عليه .

ففى الحديث : « خير بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه ، وشر بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه » ، ثم قال باصبعه : « أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا » .

إن هذا النوع من الأبناء فى أمس الحاجة الى الرعاية والإصلاح ، ولقد يكون من بينهم عبقرى نادر ، أو عالم

---

(١) سورة الضحى ٩ ، ١٠ .

مصلح ، أو صاحب موهبة فائقة ، قد يستفيد منه المجتمع لو عنى به ووجهه وعلمه وأحسن تربيته ، وقد ينقلب هذا العبقرى النادر أو صاحب الموهبة الفائقة الى شرير أو مجرم خطير ، عندما يترك دون تعليم أو توجيه وحسن تربية ، فلا تجد مواهبه من يصقلها ، ولا ترى عبقريته من يوجهها الى الخير والإصلاح ، فينزع الى الشر ، ويتفنن فيه ، وفى كل وسائله ، ويحترف شرورا لا تخطر على البال ٠

وإذا نظرنا - بعين الاهتمام - الى الأطفال ، بين حاضر يعيشون فيه ، وهم فى أمس الحاجة إلينا كآباء وأساتذة ومربين وموجهين ومصلحين ، وبين مستقبل سيقدمون عليه ، حيث يكونون هم الرجال وهم الرواد وهم الآباء والأساتذة ، إذا نظرنا كذلك ، دفعنا هذا لأن نولى الطفولة اهتماما بالغا ، ونضاعف من رعايتنا وتشجيعنا لأبنائنا ٠

ومن قصور النظر أن يظل بعض الناس ينظرون للطفل على أنه صغير غير مكلف ، بسيط لا حاجة لإشراكه فى مهام الأمور ويظل الناس يهملونه حتى ينمو ويكبر ، وهو هياب أمام المواقف ، عاجز أمام كبار الأعمال ، يتخوف من رسالة الحياة فلا يستطيع أن يضطلع فيها بمهمة كبرى ، ولا أن يقوم برسالته

العمل ضروبا من هذا النوع ، نرى أصحاب المواهب الكبيرة ، وأصحاب المعرفة والخبرة بدقائق تخصص معين ، أو فن خاص ، قلة محدودة ، قد يكونون طاعنين فى السن ، فلا يكادون يرحلون عن الحياة ، فلا ترى من يقوم مقامهم ، وما ذلك إلا لعدم العناية بالصغير ، وبالأجيال الصغيرة ، لقد ظلت النظرة البسيطة الى الأبناء فلم يتحملوا المسئولية ، ولم يخوضوا معترك الحياة .

ولكن عندما ينظر الى الطفولة على أنها رائدة المستقبل ، وتسلم لها الراية شيئا فشيئا ، وتدرب على كل شىء فى كل مرحلة ، بما يتواءم مع ميول الأطفال وإدراكهم ، وتضاعف لهم برامج التعليم والتوجيه والتربية والتشجيع ، فقد تتفتق عقولهم على عبقرية أو موهبة تأتى بالجديد وبالنافع ، وباكتشافات تنفع الحياة والمجتمعات .

رويدا ٠٠ لتنهض البراعم المعوقة

جميل جدا ، إعطاء الطفولة من الحقوق ما يمكنها من قيامها بدورها فى الحياة ، حتى تنهض فى مسيرة الحياة ، وتتسلم رسالتها بعد ذلك ٠

وجميل جداً أن نمكن لتلك البراعم نموها ، وأن نتعهدها حتى تؤتى ثمارها ، وتقوم بدور العطاء ، بعد أن كانت فى مرحلة الأخذ ، فالطفولة فى مراحل عمرها ، كالزرع الصغير ، يتعهده الزارع الماهر بشتى أنواع الرعاية ٠

انه يقوم بسقيه وإصلاحه ، وإمداده بما يحتاج من الأغذية والأسمدة ، واقتلاع ما يعوق نموه من الحشائش الضارة ، والنباتات الخبيثة ، والآفات المفسدة له ، وكذلك الحال بالنسبة لمراحل الطفولة ، فهى فى حاجة الى رعاية جسمية من غذاء وشراب وكساء ، ومسكن، ورعاية صحية ، وفى حاجة الى رعاية أخرى روحية ، من تربية وتعليم ، وتزكية وتوجيه ، وصقل لروحه ٠

وإلى جانب هاتين الرعايتين ـ الجسمية والروحية ـ فالطفولة فى حاجة الى تنقية مناخها من كل الآفات

الضارة ، والغيوم الكثيفة التى تعوق جوانب النمو العقلى والتوجيهى ، وهى عديدة ومتنوعة : فمنها ما يكون فى الأسرة من اختلاف بين الأبوين أو شجار بين الأخوة ، أو العلاقات الأكبر بين الأسرة والاسر الأخرى ، ومنها ما يكون خارج الأسرة ، كالمدرسة والشارع ، وغير ذلك من مواقع المجتمع الأخرى ، وهذه عناية طبيعية وعادية لدى الطفل العادى ٠

وأما إذا انتقلنا الى الأطفال المعوقين : فإننا نجد أنهم فى حاجة الى عناية زائدة ، والى رعاية أكثر ، وإذا كانت الطفولة فى حاجة الى عناية فائقة ، تربية وتعليما وتوجيها ، وفى حاجة الى الحنان والعطف الواعيين ، دون إفراط الى حد التدليل المفسد ، ودون تفريط الى حد الغلظة والقسوة ، إذا كانت الطفولة فى حاجة الى كل ذلك ، فإنها عند الإعاقة تكون أشد وأمس ، فالأطفال المعوقون لهم فى أعناقنا واجب ، بل واجبات يلزمنا الوفاء بها لهم ، لأنها حقوق لهم ، حقوق ألزمنا بها ديننا ، وضمائرنا ومجتمعاتنا وإنسانيتنا ٠

وتعال بنا أيها القارىء العزيز نتصفح بعض جوانب الواقع فى حياتنا ٠

كم نصادف فى المجتمعات من الرجال الكبار ، الذين

فقدوا « نعمة البصر » مثلا ، ولم يسعدهم الحظ بالتعليم ، كم سنرى من بينهم عقليات نابهة، وعباقرة أفذاذا فى تفكيرهم ، فنقول - بين أنفسنا - : لو قدر لهم أن يتعلموا لكان لهم شأن عظيم .

ويحضرنى - وأنا أكتب هذه السطور - بعض أبيات من الشعر كتبها أمير الشعراء أحمد شوقى رحمه الله ، وذلك بمناسبة إصلاح الأزهر الشريف والبدء فيه ، قال أحمد شوقى :

نظرا وإحسانا إلى عميانه
وكن المسيح مداويا ومجبرا
والله ما تدرى لعل كفيفهم
يوما يكون أبا العلاء المبصرا
لو تشتريه بنصف ملكك لم تجد
غبنا وجل المشترى والمشترى
إن فاتهم من نور وجهك فائت
لم يعدموا لوجوه برك منظرا
لمسوا نداك كمن يشاهد مزنة
ويد الضرير وراءها عين ترى

لقد عوضهم الله تعالى عن هذه النعمة ما وعدهم به من الجنة ، ولكن على المجتمع أن يبذل لمثل هؤلاء الأطفال من العناية تعليما وتوجيها .

* ومن بين المعوقين من أطفالنا من فقد جارحة من الجوارح كاليد أو الرجل ، أو غيرهما كالسمع والنطق ونحو ذلك . فيجب على المجتمع متضامنا ، توفير العلاج لهم إن كان يمكن العلاج ، وإلا فيجب العمل على تدريبهم على بعض المهن وتعليمهم ، بحيث نشعرهم بأنهم أعضاء فى المجتمع لهم أهميتهم ، ولا يصح اهمالهم بحال من الأحوال ، وكثير من المعوقين أو بعضهم ممن كان فى جسده بعض العيوب ، أو الظواهر المرضية أو نحوها ، من سمن كثير ، أو نحافة شديدة ، أو ضعف فى الصوت أو البصر أو أى عضو آخر .. كثير من هذه النماذج يأخذ فى طريق حياته السير العادى ويتعلم ، إلا أن بعض المتاعب الجسمية والنفسية قد تصادفه ، وذلك عندما لا يستمع مثلا الى قول المدرس أو لا يرى من نفسه أنه مدرك لما يدرك أقرانه ، وعندئذ علينا أن نوفر لأمثال هؤلاء المكان الملائم ، وأن نرفق بهم ، ونعاونهم فى كل شئون حياتهم ، فربما لو أتم أحدهم تعليمه أو تدريبه تفتحت عقليته عن جديد ، أو تفتقت عبقريته عن اختراع ،

أو اكتشاف ، وأقل شيء أنه لن يكون مهملا أو عضوا لا أثر له ، بل انه سيكون عضوا عاملا ، يعطى ويعمل، ويكدح ويثرى الحياة الإنسانـة بـكل ما هى فى حاجة إليـه ٠

ان للطفولة المعوقة حقوقا يجب أن نؤديها لها ، وكل إنسان فى المجتمع بحسب موقعه فيه وبقدر طاقته ٠

وعلى الوالدين والأسرة واجب دينى وأسرى وإنسانى تجاه الطفل المعوق ، إنه ليس له صدر حنان سواهم ، فهم أهله وهم أولى الناس به ، وأجدر أن يقوموا بمـا يحتاجه ، وأن يهيئوا له متطلباته ، وكل أسباب الحياة السعيدة ٠

وبعض الأسر قد تشمئز أو تأنف من طفلها المعـوق، أو قد تستحى منه أمام النـاس ، وهذا خطـأ فاحش وظلم كبير ، وارتكاب لأكبر الخطايا فى حق طفولتهم، بل عليَهم أن يقوموا بتوفير الراحة والأمن والعـلاج والتعليم والتدريب ، حتى يشعر الطفـل بوجـوده ، ويشعر بالحنان ، وأن يراقبوا الله تعالى فى أمر خلقه ، وفى بعض أبنائهم ، وهم إن كانوا مخلصين ، وقامـوا برسالتهم تجاه طفولتهم ، يجزيهم الله جزاء حسنا فى الدنيا والآخرة ٠

الأسرة .. والأبنـــاء

الأسرة هى مدرسة الحياة الأولى ، التى فيها يلتقى الأبناء العادات والتقاليد ، وفى ظلها تترعرع أخلاقهم، وفى أحضانها تنمو عواطفهم ، لذا : أحاطها الإســلام بعناية فائقة ، وأرسى الإسلام للأسرة الحق والخــير ، ووضح لها معالم الطريق بين الحقوق والواجبات .

وكما عنى الإسلام بالأبناء منذ طفولتهم الى شبابهم، وحتى نهاية مرحلة الحياة ، ووجه الآباء الى رعايتهم، وحسن معاملتهم وتنشئتم ، فإنه عنى بالوصية بالآباء، وأداء ما يجب نحوهم من رعاية ، ردا لبعض الفضــل الذى لهم على أبنائهم ، وعرفانا لهم بالجميل .

وتلك الحقوق والواجبات ، تدور فى حلقة متصلة من سلسلة الحياة ، فأبناء اليوم هم آباء الغد وآباء اليوم كانوا أبناء الأمس ، أما بالنسبة لحقوق الأبناء ، فإنها تأخذ مسارين :

الأول : جـانب العطف والـرحمة ، وللعطف عـلى الأبناء أثر بالغ فى تنشئتهم ، وتفتح مداركهم، شريطة

ألا يفضى الى التدليل المفرط ، الذى يؤثر على سلوكهم الجاد فى الحياة .

وعدم الرحمة والعطف على الأبناء ومعاملتهم بالقسوة والغلظة ، أو تعرضهم للجفوة من الآباء ، يعرضهم الى إظلام نفوسهم وإطفاء شعلة الذكاء فى عقولهم ، ويغريهم بالعقوق والتمرد ، وربما بالغواية والفساد .

ومن أجل ذلك يؤكد الرسول صلوات الله وسلامه عليه الوصية بالأبناء ، والعطف معهم والرحمة بهم .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : رأى الأقرع ابن حابس النبى ﷺ يقبل ولده الحسن ، فقال إن لى عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم ، فقال عليه الصلاة والسلام : « من لا يرحم لا يرحم » .

وأما الجانب الثانى : فهو إحسان أدبهم وتنشئتهم النشأة الصالحة ، التى تقوم على أسس الدين الصحيحة ، بعيدا عن الترهات والأباطيل ، بعيدا عن الخرافات والأساطير . فلا يملأ الآباء رؤوس أبنائهم بالخرافات ، بغية تسليتهم ، أو تهدئتهم فى بعض الأحيان ، كما ينبغى فى جانب التربية ملاحظة التسوية بين الأبناء ذكورا وإناثا ، فلا يفضل الذكر على الأنثى ، ولا يفضل

بعض الأبناء على بعض ، ولا بعض الإناث على بعض ٠ فإن فى مثل هذه الحالات رد فعل سىء ، يؤثر فى علاقات الأبناء بعد ذلك ، بعضهم مع بعض ، ويمزق وشائج الرحم والرحمة ، ويزرع فى نفوسهم الحقد والضغينة ٠

ومن أهم ما يجب على الآباء أن يحرصوا عليه ، هو : أن يسود جو الهدوء والسكن والمودة فى الأسرة ، بحيث لا يتطاير شجار بين الأبوين ، أو الإخوة الكبار ، فيؤثر ذلك على سلوك الصغار ، ويجعلهم فى جو غائم متوتر ، وألا يختلط الأبناء بذوى السلوك السىء ، أو العادات المرذولة من أقرانهم ، لأن ذلك يؤثر فى سلوكهم ، وتنتقل عدوى الخلق السىء من الآخرين إليهم ٠

فقد جاء فى الحديث : « مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير » ٠

ومن أهم ما ينبغى ملاحظته ، هو : لزوم الآباء لأبنائهم ، ومراقبتهم لسلوكهم وتصرفاتهم ، ليوجهوهم أولا بأول ٠٠ وألا يترك الآباء أبناءهم تمتصهم تقاليد سيئة ، أو عادات قبيحة ، أو تيارات وافدة ، يكون مآلهم معها الى الضياع ٠

وألا يعتمدوا على المدرسة وحدها فى توجيههم ، وألا يتركوهم الى الخدم ويهملوا شئونهم ، فلقد جاء فى الحديث الأمر بلزوم الأبناء وحسن أدبهم .

وعن ابن عباس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « الزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم » .

تلك هى مسئولية الآباء وواجباتهم تجاه الأبناء ، وتلك هى حقوق الأبناء على آبائهم ، وهى تأتى فى مقدمة الحقوق الأخرى الحسية والمادية ، من مطعم ومشرب وملبس ومسكن وخلافه ، بل إنها ألزم وآكد منها ، لأن بتلك الآداب والتربية ، تقوم النفس وتصلح الروح ، والإنسان بنفسه قبل جسمه إنسان .

أقبل على النفس واستكمل فضائلها

فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

وتربية الأبناء وتنشئتهم على الحق والهدى ، أثمن وأغلى ما يورثه لهم آباؤهم ، بل إن ذلك أبقى وأنفع لهم من المال الزائل ، الذى قد يكون سببا من أسباب الفساد .

يقول الإمام على رضى الله عنه : « ثلاثة هى أفضل ما يورثه الآباء الأبناء : الثناء الحسن ، والأدب

الصالح ، والإخوان الثقات » ٠ هذا فيما يتعلق بحقوق الأبناء على آبائهم ٠

أما حقوق الآباء على أبنائهم ، فإن الناس لا يحتاجون الى من يعرفهم بمكانة الوالدين ، وبما يجب نحوهما من البر ، فحسبهم أن يلتفتوا الى ماضى نشأتهم ، وما مروا به من أطوار متعددة ، ليتذكروا لأمهاتهم حملهن لهم وهنا على وهن ، وما قاسين فى سبيلهم من الحمل كرها والوضع كرها ، والسهر على مصالحهم ، وبذل الراحة والسعادة فى سبيل راحة الأبناء وسعادتهم ٠

إنها التضحية الصامتة ، والبذل الذى لا نظير له فى دنيا النـاس ٠

لذا كان تأكيد الإسلام فى الوصية بالوالدين لا يحتاج بعد الى بيان ، حيث دعا الى الإحسان بالوالدين ، بعد الأمر بعبادته مباشرة : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا » ٠ وقرن الله تعالى طلب الشكر له بالشكر للوالدين : « أن اشكر لى ولوالديك »٠

وذكر القرآن الكريم الأبناء بمرحلة هامة ، تعتبر فرصة لرد بعض الجميل ، وتلك الفرصة إن أفلتت أفلت

الخـير كله ، وهى عنـدما يبلغ الآباء الـكبر ، وتأتى وصايا القرآن فى هذا الصدد ، موضحة ومؤكدة ما يجب للآباء من البر بجميع صنوفه ، من القـول الكريـم ، والفعل العظيم ، والتواضع الجم ، والرحمة الوافرة ، ثم بعد ذلك كل ما يمكن بذله ٠

يقـرر القـرآن حقيقـة واقعة لا مجـال لجحودهـا وإنكارها ، وهى : أن الإنسان مهما بذل وضحى فإنه لن يستطيع أن يفى والديه حقهما ، وعندئذ يـكل ذلك الى الله داعيا إياه مرددا ملء قلبه وفيه : « وقـل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا » ٠

وبر الوالدين يعتبر من أعظم الجهاد ، لقد جاء رجل الى رسول الله ﷺ يستأذنه فى الجهاد ، فقال له الرسول ﷺ : ألك أبـوان ؟ قال نعـم ، قال : ففيهما فجاهد ٠

وجـاءه رجل فسأله : هـل بقى من بر أبـوى شىء أبرهما به بعـد موتهما ؟ قال : نعم الصـلاة عليهمـا والاستغفار لهما ، وانفاذ عهدهما من بعدهما ، وصلة الرحم التى لا توصل إلا بهما ، وإكـرام صـديقهما ٠ « ومعنى الصلاة عليهما » أى الدعاء لهما ٠

وان تنكر الأبناء لفضل آبائهم عقوق من أكبر الكبائر ، وجريمة من أشد الجرائم .

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : جاء رجل الى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله إن أبى أخذ مالي ، فقال النبى ﷺ للرجل : « فائتنى بأبيك » فنزل جبريل عليه السلام على النبى ﷺ فقال : إن الله عز وجل يقرئك السلام ويقول لك : إذا جاءك الشيخ فاسأله عن شيء قاله فى نفسه ما سمعته أذناه ، فلما جاء الشيخ قال له النبى ﷺ : ما بال ابنك يشكوك ؟ أتريد أن تأخذ ماله ؟ فقال : سله يا رسول الله ، هل أنفقه إلا على إحدى عماته ، أو خالاته ، أو على نفسى ؟ فقال له رسول الله ﷺ : ايه دعنا من هذا ، أخبرنى عن شيء قلته فى نفسك ما سمعته أذناك ، فقال الشيخ : والله يا رسول الله ما زال الله عز وجل يزيدنا بك يقينا ، لقد قلت فى نفسى شيئا ما سمعته أذناى ، قال : قل وأنا أسمع ، قال : قلت :

غذوتك مولودا وعلتك يافعا
تعل بما أجنى عليك وتنهل

إذا ليلة ضافتك بالسقم لم أبت
لسقمك إلا ساهرا أتململ

كأنى أنا المطـروق دونك بالذى
طرقت به دونى فعينى تهمـــل
تخاف الردى نفسى عليك وإنهـا
لتعلم أن المـوت وقت مؤجـــل
فلما بلغت السن والغـــاية التى
إليها مـدى كـنت فيـه أؤمـل
جعلت جـزائى غلظـة وفظاظة
كأنك أنت المنعـــم المتفضـــل
فليتـك إذ لـم ترع حـق أبوتى
فعلت كما الجار المصاقب يفعـل
فأوليتنى حـق الجوار ولم تـكن
على بمال دون مالك تبخـــل

فقال الرسول ﷺ للولد :

« أنت ومالك لأبيـك » ٠

ان حقوق الآباء فى أعناق أبنائهم واجبة الأداء ، ولا يمكن للأبناء أن يفوا آباءهم حقهم مهما فعلوا وبذلوا، ومهما ضحوا وقدموا ٠

القــدوة الحســنة

إذا أردنا أن نتعرف على المثل الكامل فى طفولته وشبابه ، لنتخذ منه القدوة ، فليس أمامنا إلا سيدنا رسول الله ﷺ ..

لقد كانت مرحلة شبابه صلوات الله وسلامه عليه طاهرة نقية ، مستقيمة زكية ، بعيدة كل البعد عن اللهو والعبث ، بعيدة عن الشيطان ووساوسه ، وعن الهوى وهواجسه . فقد عصمه الله تعالى ورعاه ، وحفظه من كل سوء ، فشرح الله صدره ، ولم يجعل للشيطان عليه من سبيل ، لقد توفى أبوه وهو فى بطن أمه على أصح الآراء ، وأما أمه فقد توفيت بين مكة والمدينة بالأبواء منصرفها من المدينة ، من زيارة أخواله بنى النجار ، وهم أخوال أبيه عبد الله ، وكان عمر الرسول ﷺ إذ ذاك لم يستكمل سبع سنين ، فكفله جده عبد المطلب ، ثم توفى عبد المطلب وكان عمره نحو ثمان سنين ، وقيل ست ، وقيل عشر ، وعندئذ كفله عمه أبو طالب .

وبرغم ما كانت تعج به الحياة من حـوله من لهـو وعبث ، ومن تهالك الشباب وتهافتهـم على مظاهـر اللعب والطرب ، فإن شباب رسولنا صلوات الله وسلامه عليه ، كان مصونا من كل دنس ، محفوظا من كل سوء أو شر ٠

وكان طبيعيا أن ينشأ هذه النشأة الطاهرة النقية ، لأن العناية الإلهية كانت تعده لأمر السماء ، ووحى الله وتبليغ الرسالة ، كما كان دعوة أبيه إبراهيم، وبشرى أخيه عيسى ، ورأت أمه عندما حملت به من البشارات ما رأت ، وشرح الله صدره ٠

وفيما رواه ابن إسحاق ، أن نفرا من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا له : أخـبرنا عن نفسك ؟ قال : نعم أنـا دعوة أبى إبراهيم ، وبشرى أخى عيسى ، ورأت أمى حين حملت بى أنه خرج منها نور أضاء قصور الشام ٠٠

ولقد عاش رسول الله صلوات الله وسلامه عليه فترة شبابه بالعمل والسعى ، واشتغل برعى الأغنـام ، قال ﷺ : « كـنت أرعى الغنـم عـلى قـراريـط لأهـل مـكة » (١) ٠

---

(١) رواه البخارى ٠

وفى كده وجده ، وفى اشتغاله بالعمل رغم كفالة عمه له ما يفيد أهمية العمل ، وأن خير ما يأكله الإنسان ما كان من عمل يده ، كما أن فى العمل ثمرة هامة أخرى بالإضافة الى نفع الإنسان لنفسه ، وتلك الثمرة هى انتفاع الحياة من العمل ، وازدهار حركة المجتمع بالنشاط فيها والتفاعل معها ٠

وحفظ الله تعالى رسوله صلوات الله وسلامه عليه من أى عبث أو لهو أو لعب كان يأتيه غيره فى مثل سنه ٠

قال صلوات الله وسلامه عليه : « ما هممت بشىء مما كانوا فى الجاهلية يعملونه غير مرتين ، كل ذلك يحول الله بينى وبينه ، ثم ما هممت به حتى أكرمنى الله بالرسالة ، قلت ليلة للغلام الذى يرعى معى بأعلى مكة : لو أبصرت لى غنمى حتى أدخل مكة وأسمر بها كما يسمر الشباب ؟ فقال : أفعل ، فخرجت حتى إذا كنت بمكة سمعت عزفا فقلت : ما هذا ؟ فقالوا : عرس، فجلست أسمع فضرب الله على أذنى فنمت فما أيقظنى إلا حر الشمس ، فعدت الى صاحبى فسألنى فأخبرته ، ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك ، ودخلت مكة ، فأصابنى مثل أول ليلة ، ثم ما هممت بعده بسوء » (١) ٠

---

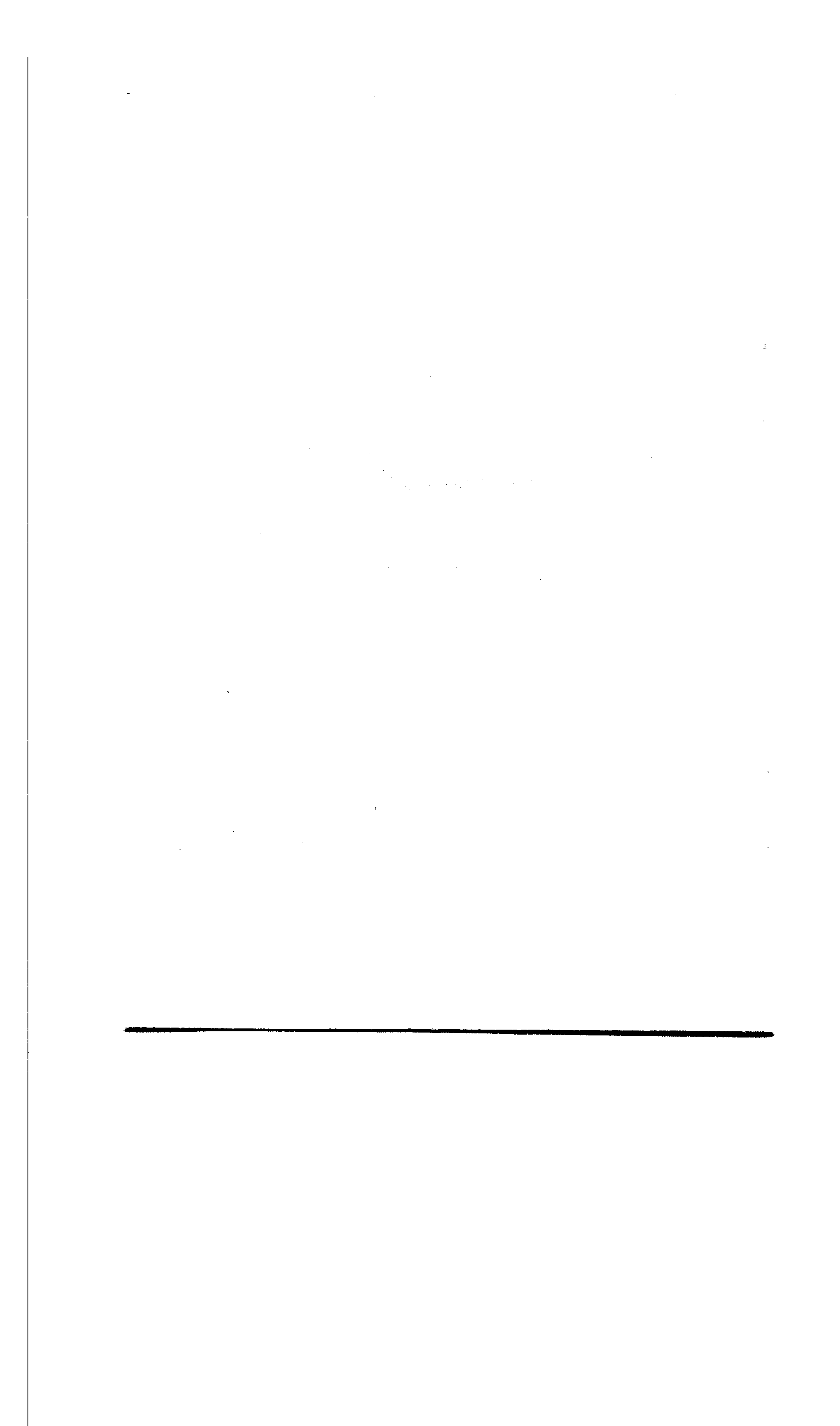
(١) رواه الحاكم والطبرانى ٠

وهكذا كانت العناية الإلهية تحيط بحياة الرسول ﷺ فى كل لحظة من اللحظات ، وفى كل زمان ومكان ٠

واشتهر صلوات الله وسلامه عليه بالصادق الأمين ، وبكل فضيلة كريمة من الفضائل المثلى ٠

واشتغل بالتجارة ، فخرج فى تجارة لخديجة الى الشام ، فكان المثل الكامل فى تجارته ، وصدقه وأمانته، وإخلاصه فى كل الأمور ٠

والمتصفح لمرحلة الشباب هذه ، يرى فيها الطهر والنبل ، والنشأة المثالية العالية ، التى يجد عندها القدوة الطيبة ، والأسوة الحسنة ، التى يجب على شباب الإسلام أن يقتدى بها فى حياته ، منتهجا فيها نهج الإسلام ، ورسول الإسلام ﷺ ٠



الفصل الثانى

مرحلة الشباب

مرحلة الشباب من أهم مراحل العمر

الشباب مرحلة من مراحل العمر ، تتمثل فيها القوة والحيوية ، والحركة والنشاط · ومرحلة الشباب هذه جعلها الله سبحانه وتعالى وسطا بين مرحلتين ، كلتاهما تتسم بالضعف :

* المرحلة الأولى : هى مرحلة الطفولة من حين ولد الطفل ضعيفا لا يقدر على الحركة ، ولا يستطيع التعبير ، ولا يعى من الأمر شيئا كما قال الله تعالى : « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون » (١) ·

* والمرحلة الأخرى : هى مرحلة الشيخوخة والكبر، وفى هذه المرحلة تنقلب حال الإنسان من القوة الى الضعف ، فتنقص معلوماته وتضعف بنيته وقواه ، كما قال تعالى : « ومن نعمره ننكسه فى الخلق أفلا

(١) سورة النحل آية ٧٨

يعقلون » (١) ، فمن وصل الى هذه المرحلة يكون قد تقلب فى المراحل الثلاث ، وانتهى حاله الى الضعف والنقص والنسيان فلا يعلم - بعد علم - شيئا ، كما قال تعالى مستدلا بتلك المراحل والأطوار على البعث، وأنه حق . قال تعالى : « يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج » (٢) .

وقد أشار القرآن الكريم الى هذه المراحل فى قول الله تعالى : « الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير » (٣) .

ومرحلة الشباب إنما تعتبر من أدق المراحل فى حياة

(١) سورة يس آية ٦٨
(٢) سورة الحج آية ٥
(٣) سورة الروم : ٥٤

الإنسان ، لأن الشباب يحملون نفوسا خصبة صالحة للخير والإصلاح ، وقلوبا صافية لم تقتحمها ـ بعد ـ عادات سيئة ، ولا تقاليد ضارة ، ولا ضروب من الأخلاق التى تتراكم فى العادة لدى الكبار ، ومن أجل هذا كانوا أسرع فئات المجتمع الى قبول النصيحة ، واستجابة الدعوة ، وكان لتوجيههم وإرشادهم أكبر الأثر فى مستقبل حياتهم ، خاصة منذ الصغر ، قبل أن يشبوا ويكبروا على بعض العادات أو الرذائل التى قد تغشاهم فترة ما من الزمن ، أو تهب عليهم بعواصف الشك والقلق ، فيصبح علاجهم حينئذ صعبا ، لأن من شب على شىء شاب عليه .

وفى هذه المرحلة أيضا ، كثيرا ما تتحرك العواطف، وتهب من ركودها فى نشاط وحيوية ، تتسم بحسن الخلق ، والإعجاب بمظاهر البطولة فى سبيل الدين والوطن ، كما تتسم بحدة العقل .

ومن نصائح السلف : قول ابن شهاب الزهرى : « لا تحقروا أنفسكم لحداثة أسنانكم ، فإن عمر بن الخطاب كان إذا نزل به الأمر المعضل دعا الفتيان ، واستشارهم يبتغى حدة عقولهم » .

وكان الرسول ﷺ يعنى بتشجيع الشباب ، ويكشف عن أهمية دورهم فى الحياة ، فيمنحهم الثقة بأنفسهم، إذ يثق بهم فى معضلات الأمور ، وأصعب المهام وأخطرها ، فيسند إليهم أعمالا عظيمة ، ويوليهم القيادة ، فقد أعطى الرسول ﷺ : عليا الراية يوم بدر ، وسنه يومها عشرين سنة ، وأعطى زيد بن ثابت راية بنى النجار يوم تبوك ، وسنه نحو عشرين سنة ، وأعطى زيد بن ثابت لواء السرية التى جهزها ، وسنه نحو عشرين سنة ، وقيل تسع عشرة سنة ٠

رعــــاية الشــــباب
فى ضــــوء القــــرآن الــــكريم

إذا نظـرنا الى رعاية الشباب ، فى ضـوء القـرآن الـكريم ، فإننا سنقف أمام عطـاء غامـر ، ودروس باهرة ، تتضافر فى إبراز ما للشباب من أهمية ، وتلقى الضوء على كيفية المحافظة عليهم وتوجيههم وتربيتهم وتعليمهـم ٠

وسنحدد الحديث هنـا عن رعاية الأبناء فى أربعـة عناصر :

أولا : انهم نعمة من الله سبحانه وتعالى ، يتمناها الناس ، كما تمناها الأنبياء ، فلذا يدعون ربهـم أن يهبهم ذرية طيبة ٠

ثانيا : رعاية الله تعالى لهم منذ الإقرار فى الرحم ، الى أن يخرجوا الى الوجود ٠

ثالثا : المحافظة على حياة الأبناء، ورعاية طفولتهم، والدفاع عنهم ، وتوفير السعادة لهم ٠

رابعا : تربيتهم وتعليمهم .

أما بالنسبة للأمر الأول ، وهو أنهم يمثلون نعمة من أكبر النعم التى يتمناها الناس كما تمناها الأنبياء ، ويدعون ربهم بها : فترى قول الله تعالى فى وصف عباده الذين شرفهم بالإضافة إليه وسماهم عباد الرحمن قال : « والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما » (١) .

وقال سبحانه فى شأن زكريا عليه السلام : « هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء » (٢) .

وأنهم أيضا زينة الحياة الدنيا ، وقد أشار القرآن الكريم أن هذه النعمة قد ينالها البعض ولا ينالها آخرون ، وما يمنح الله لعباده منها قد يكون ذكرا وقد يكون أنثى ، وقد يكون الأبناء من الذكور والإناث ، وقد لا ينجب الرجل مطلقا بأن يكون عقيما ، وذلك كله إن دل على شىء فإنما يدل على سعة علمه تعالى وحكمته ، وقدرته وإراته .

---

(١) سورة الفرقان آية٧٤
(٢) سورة آل عمران آية ٣٨

قال سبحانه : « لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور . أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير » (١) .

ومن أجل هذا : فإن القرآن الكريم حين يشير الى الأبناء باعتبارهم زينة يتزين وينعم بهم الإنسان ، كما يتزين وينعم بالمال ، فإنه يردف الحديث بأن الأبقى ثوابا ونفعا ، وأن خير ما يتحقق للإنسان من أمل فى الآخرة ، مما كان يتمناه ويؤمله فى الدنيا ، إنما يكون فى الباقيات الصالحات من أعمال الخير ، التى تبقى ثمرتها ، فقال سبحانه :

« المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا » (٢) .

وهداية الأبناء أمنية الآباء التى يدعون بها لهم ولأنفسهم .

قال تعالى فى شأن إبراهيم عليه السلام ، وحرصه

(١) سورة الشورى آية : ٤٩ ، ٥٠ .
(٢) سورة الكهف آية : ٤٦

على هداية بنيه : « وإذ قال إبراهيم رب اجعل هـذا البلد آمنا واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام » (١) .

ويصور القرآن الـكريم أثر الآباء فى الأبناء ، حـين تصح عقيدتهم ويسلكون الصراط المستقيم ، ويبتغون هدى الله فتتبعهم ذريتهم على طـريق الإيمان . قـال سبحانه : « والذين آمنوا واتبعتهـم ذريتهم بإيمـان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شىء كل امرىء بما كسب رهين » (٢) .

وأما بالنسبة للأمر الثانى ، وهو رعاية الله للأبناء بعد الإقرار فى الرحم فقد وضح القرآن الـكريم أطوار الخلق ، مبينا كـيف كانت رعاية الله للإنسـان ، منـذ اللحظـة الأولى التى كان فيهـا نطفة ، ثـم تدرج الى علقة ، ثم الى مضغة .. الى أن يخرج طفلا ثم الى أن يكبر ، واستدل بهذه الأطوار على كمال قدرته تعالى على البعث .

قال سبحانه : « يا أيها الناس إن كنتم فى ريب مـن البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة

(١) سورة ابراهيم آية : ٣٥
(٢) سورة الطور آية : ٢١

ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لـكم ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثـم لتبلغوا أشدكم ٠٠ » (١) ٠

كما راعى الإسلام للأبناء حق الـرضاع حتى يضمن للطفل من اللحظات الأولى ما تنهض به حياته، وتقوم عليه ٠ فقال سبحانه : « والوالدات يرضـعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس إلا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده ٠٠ » (٢) ٠

وأما عن الأمر الثـالث ، وهو المحافظة على حيـاة الأبناء ، والدفاع عنهم ، وتوفير السعادة لهم : فقال الله تعالى : « ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقـكم وإياهم » (٣) ٠ فقد نهى الله عن قتلهم من أجل فقـر موجود ، واقع حال ٠ وفى موطن آخر قال تعـالى : « ولا تقتلوا أولادكم خشية إمـلاق ٠٠ » (٤) أى مخافة وقوع فقر ٠

---

(١) سورة الحج آية : ٥
(٢) سورة البقرة آية : ٢٣٣
(٣) سورة الأنعام آية : ١٥١
(٤) سورة الاسراء آية : ٣١

كما راعى الإسلام - فى سبيل المحافظة على حياة الأبناء حمايتهم وصيانتهم من التعرض لهزات الزمن، وتقلب الحياة فأمر الأوصياء أن يخشوا ربهم ويتقوه فى أمر اليتامى ، وأن يتصرفوا معهم بما يحبون أن يفعل بذريتهم الضعفاء بعد موتهم ، قال الله تعالى : « وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا » (١) .

وأما بالنسبة للأمر الرابع ، وهو تربية الأبناء وتعليمهم : فقد قدم لنا القرآن الكريم صورة من الوصايا فى إطار متكامل ، ترسم للشباب معالم الطريق وملامح الحياة المستنيرة المستقيمة التى تظل موصولة بالله وبالمجتمع الذى يعيشون فيه ، وهذه الوصايا يقدمها القرآن على لسان لقمان .

يقول سبحانه : « وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم . ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك إلىّ المصير . وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا واتبع سبيل من

---

(١) سورة النساء آية : ٩

أناب إلىّ ثم إلىّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون. يا بنىّ إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير . يا بنىّ أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانهى عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور . ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور . واقصد فى مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير » (١) .

ان أولى الوصايا وأول أساس من أسس التربية والتوجيه « العقيدة » التى تتمثل فى توحيد الله تعالى. ثم جاء بالوصية بالوالدين ، وهى وإن لم ترد على لسان لقمان ، إلا أنه أوردها هنا تأكيدا لتصحيح مسار العقيدة ، والمبالغة فى عدم التهاون بها ، حتى وإن كان ذلك ممن وصى الله بهما بعده مباشرة وهما الوالدان ثم كان التوجيه إلى علم الله الذى أحاط بكل شىء ، ولطفه الذى يدرك كل دقيق من الأمور ، وكل خفى عن الناس . ثم الوصية بالصلاة التى تعنى الصلة بالله تعالى ، والتى من ثمراتها تهذيب النفس ، والانتهاء

(١) سورة لقمان الآيات : ١٣ ـــ ١٩

عن الفحشاء والمنكر « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » .

ثم تنتقل الوصايا من الصلاة التى بها تتهذب النفوس ، وتكمل فى هداها الى ما يهذب من الغير ويكمل هداه ، وذلك بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . وكل ذلك فى حاجة الى الصبر والاحتمال واستمرار مواصلة السير . ولا يكفى لتهذيب الغير وإرشاده والتقويم من اعوجاجه مجرد النصيحة ، أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر ، بل لابد من المعاملة الحسنة مع الغير ، وممارسة القدوة ، والتطبيق العملى معه كما لابد أيضا من التواضع والتآلف ، هكذا سارت بنا هذه الوصايا الحكيمة ، ترسل عطاءها وهداها ، رعاية للشباب ، فى جميع الجوانب ، ما يتصل منها بعقيدته وصلته بالله ، وما يتصل منها بسلوكه وتهذيبه وتنشئته تنشئة صالحة ، وما يتصل منها بعلاقاته الإنسانية فى أسمى صورها العديدة والرشيدة .

●●●

* ويرسى القرآن الكريم أصولا فى الآداب العالية ، ومن بينها أدب الاستئذان فيما يتصل بالأسرة والأطفال الذين لم يبلغوا الحلم ، والشباب الذين بلغوا الحلم ،

وذلك عنـد دخولهـم على الـكبار ، فى وقت الراحـة والـخلوة ٠

قال تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كـذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ٠ وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كمـا استأذن الذين من قبلهم كـذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم » (١) ٠

وقد روى فى سبب نزول الآية السابقـة : أن غـلام أسماء بنت أبى مرثد دخل عليها فى وقت كرهته فنزلت الآية ، وقيل ، أرسل رسـول الله ﷺ مدلج بن عمـرو الأنصارى ـ وكان غلاما ـ وقت الظهيرة ليدعو عمر ، فدخل وهو نائم وقد انـكشف عنه ثوبه ، فقال عمـر رضى الله عنـه : لوددت أن الله عز وجـل نهى آباءنا وخدمنا ألا يدخلوا هذه الساعات علينا إلا بإذن ، ثـم انطلق الى النبى ﷺ فوجـده وقـد أنزلت تـلك الآية السابقة ٠

---

(١) سورة النور آية : ٥٨ ، ٥٩ .

ولقد ضرب لنا القرآن الكريم أروع الأمثلة فى أنبل نموذج للعفة مع نبى الله يوسف - وهو شاب - فلقد تعرض لفتنة الجمال مع امرأة العزيز .

قال تعالى : « وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربى أحسن مثواى إنه لا يفلح الظالمون » (١) .

كما ضرب المثل الرفيع بنبى الله موسى عليه السلام فى مروءته ونجدته مع بنات شعيب ، ويشيد القرآن بقوته وأمانته إذ يقول :

« ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير . فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إنى لما أنزلت إلىّ من خير فقير . فجاءته إحداهما تمشى على استحياء قالت إن أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين . قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين » (٢) .

---

(١) سورة يوسف آية : ٢٣

(٢) سورة القصص آية : ٢٣ - ٢٦

رعـاية الشــبا ب
في ضـــوء الســـنة الشريفة

أولا : جانب الـتربيـة :

لقد عنى رسول الله ﷺ برعاية الشباب عناية فائقة، باعتبارهـم طلائع الأمـة ، وعدتها فى الجهـاد ، وفى العمـل والنهوض ، وباعتبارهم رجـال المسـتقبل ، وأسبق فئات المجتمع الى قبول دعوات الإصلاح .

ومن ناحية أخرى باعتبارهم قوة قد تتأجج بالخير إذا وجهت اليـه ، وقـد تنزع الى الشر ، إذا تركـت وأهملت .

ومن هنا حرص الرسول ﷺ على تنشئة الأبناء على أساس من العقيدة الصحيحة، والعبادة السليمة، وتقوى الله تعالى منذ نعومة أظفارهم ، حتى إذا شبوا وكبروا كانوا متعودين على العبادات ، وعلى طاعة الله تعالى، وكانت سائر أعمالهـم وعلاقاتهـم بغيرهم نابعـة من محيط إسلامى نقى .

وأول ما ينبغى أن يتعلمه الأبناء من العبادات - بعد معرفة الله تعالى - هو إقامة الصلاة .

قال ﷺ : « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين ، وفرقوا بينهم فى المضاجع » (١) .

فيجب على المسلم أن يوجه ابنه ويأمره بالصلاة عقب تمام سبع سنين إذا كان الطفل مميزا ، وإلا فعند التمييز ويضربه ضربا غير مبرح على تركها وهو ابن عشر سنين ، أى بعد تمامها ، واعتمد جماعة من الشافعية أن الضرب يجب فى الشروع فى العاشرة ، لأن الضرب عقوبة ، والعشر من احتمال البلوغ بالاحتلام ، وفى هذه السن يقوى عوده ويحتمل .

ولما كان لتربية الشباب أثرها البالغ فى الشباب أنفسهم ، وفيمن يؤثرون فيهم بعد ذلك جيلا فجيلا ، كانت نظرة الإسلام الى تربية الشباب وتوجيه القوى الكامنة فيهم بعيدة المدى ، وبحيث تقدم تربيتهم على أى عمل آخر حتى ولو كان صدقة .

عن جابر بن سمرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال:

---

(١) رواه أحمد وأبو داود والترمذي .

« لأن يؤدب الرجل ولده خير من أن يتصدق بصاع » (١) .

وتجعل هداية الوالد لولده ، وتوجيهه له التوجيه السديد أفضل هدية يقدمها الآباء للأبناء .

قال ﷺ : « ما نحل والد ولدا من نحل أفضل من أدب حسن » (٢) .

ومن أهم ما نبغى أن يغرس فى نفوس الأبناء ، من فضائل الإسلام وآدابه : خلق الصدق ، فإذا ما نشأوا عليه وألفوه منذ الصغر كبروا عليه ، فكانوا صادقين صالحين فى سائر أقوالهم وأعمالهم .

عن عبد الله بن عامر قال : دعتنى أمى يوما . ورسول الله ﷺ قاعد فى بيتنا ـ فقالت : تعال أعطك ، فقال لها ﷺ : ما أردت أن تعطيه ؟ قالت : أردت أن أعطيه تمرا . فقال لها : « أما إنك لو لم تعطه شيئا كتبت عليك كذبة » (٣) .

ومن أجل أن يشب الأبناء على سائر معانى الإسلام

---

(١) رواه الترمذى .
(٢) رواه الترمذى .
(٣) رواه أبو داود .

وفضائله ، كانت الرعاية بغرس خلال البر والخير والرجولة فيهم منذ صغرهم لها أهميتها ، ومن ذلك : تحية الإسلام ، وهو « السلام » .

عن أنس رضى الله عنه أنه مر على صبيان فسلم عليهم وقال : « كان رسول الله ﷺ يفعله » (١) .

ولم تدع السنة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام جانبا من جوانب التربية والرعاية إلا واشتملت على وصايا وتعاليم فيه ترقى بالشباب وتهذب من سلوكهم ، ومن ذلك : جانب قد يغفل عنه بعض الآباء فى تربية أبنائهم ، بدافع العاطفة والرحمة والاشفاق، وهو أدب المائدة ، وعند ما يتناول الأبناء الطعام ، هنا يوجه الرسول ﷺ النظر الى ضرورة مراعاة البدء فى الطعام باسم الله ، وأن يأكل الإنسان مما يليه .

عن أبى حفص عمر بن أبى سلمة ربيب رسول الله ﷺ قال : كنت غلاما فى حجر رسول الله ﷺ ، وكانت يدى تطيش فى الصحفة ، فقال لى رسول الله ﷺ : « يا غلام سم الله تعالى ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك، فما زالت تلك طعمتى بعد » (٢) .

---

(١) رواه البخارى ومسلم .
(٢) رواه البخارى ومسلم .

ويوصى الإسلام باليتيم ، لأنه فى حاجة ماسة الى العناية والرعاية والرحمة .

قال تعالى : « فأما اليتيم فلا تقهر . وأما السائل فلا تنهر » (١) .

وقال سبحانه : « أرأيت الذى يكذب بالدين . فذلك الذى يدع اليتيم . ولا يحض على طعام المسكين » (٢).

وقال ﷺ : « أنا وكافل التيم فى الجنة هكذا ، وأشار بالسبابة والوسطى ، وفرج بينهما » (٣) .

كما خص الإسلام البنات بمزيد رعاية وإشفاق ، باعتبارهن ضعيفات ، وباعتبار أهميتهن فى تكوين الأسرة ، فالأسرة أساس المجتمع والفتاة عندما تكبر وتصبح أما فإن أهميتها بالغة ، وفى أحضانها تنمو عواطف الأبناء ، وتترعرع أخلاقهم ، لذا كان لها مزيد عناية واهتمام ، عن عائشة رضى الله عنها قالت : دخلت على امرأة ومعها ابنتان لها تسأل ، فلم تجد عندى شيئا غير تمرة واحدة فأعطيتها إياها ، فقسمتها بين ابنتيها ، ولم تأكل منها ثم قامت فخرجت فدخل النبى

---

(١) سورة الضحى آية ٩ ، ١٠ .
(٢) سورة الماعون آية : ١ — ٣
(٣) رواه البخارى .

ﷺ علينا فأخبرته فقال : من ابتلى من هـذه البنات بشىء فأحسن إليهن كن له سترا من النار » (١) .

وهكذا ، يكون جانب التربية ، كواحد من جـوانب رعاية الشباب فى ضوء السنة المشرفة .. ورأينا أنـه يقوم على ترسيخ أسس العقيدة والدين الحق فى قلوب الشباب وعقولهم ، وأخذهم بمعانى الإسلام وقيمـه ، وتربيتهـم تربية صحيحة ، يستقيـم معهـا سلوكهـم وسيرهم فى الحياة .. ثم ننتقل بعد ذلك الى الجانب الآخر وهو تحمل المسئولية ، أو بعبارة أخرى : جانب العطاء ، فإن الجانب السابق هو جانب الأخذ ، تتمثل فيـه التوجيهـات والنصائـح ، والتربيـة الصـحيحة المستقيمة .

ثانيا : جـانب تحمل المسئولية :

وتقع على عاتق الشباب مسئولية كبيرة ، تبدأ بنفسه وشبابه ، فإن المرحلة التى يمر بها الشباب من حياتهم يجب عليهم أن يغتنموها ، قبل أن يغزوهـم الهـرم والمشيب فيضعفوا عن القيام بمهام الحياة التى نيطت بهم ، وتفلت منهم المرحلة الذهبية فى تحمل المسئولية وفى عطائهم لأمتهم الإسلامية ، وقد حثت السنة الشريفة

(١) رواه البخارى ومسلم والترمذى .

على اغتنام هذه المرحلة قبل ضياعها ، كما يجب اغتنام غيرها من فرص الحياة الكريمة التى يمكن أن نثرى بها قوة الأمة وإنتاجها ، والبذل والتضحية والإنفاق والعمل والسعى فى كل دروب الحياة ، يجب اغتنام كل هذا .

عن عمر بن ميمون قال : قال رسول الله ﷺ : « اغتنم خمسا قبل خمس : حياتك قبل موتك ، وصحتك قبل سقمك ، وفراغك قبل شغلك ، وشبابك قبل هرمك ، وغناك قبل فقرك » (١) .

والإنسان مسئول عن هذه المرحلة من حياته ، مرحلة الشباب ، فيم أبلاها ، وكيف قطعها ، إنها فترة القوة والنشاط والحيوية ، ويمكن للإنسان أن يستغل شبابه الفتى فى كثير من أوجه الحياة النافعة ، فى الخير والإصلاح ، فى التقوى والعمل الصالح ، فى الإنتاج فى كل ما دفع بموكب الحياة الإنسانية قدما الى الأمام، وفى كل ما يجعل الحياة تسعد وتزدهر . إنه مسئول عن كل ذلك ، فقد منحه الله تعالى هذه القوى الدافقة، ليستغلها فى خيره وخير الإنسانية ، أما إن سخرها فى غير ما ينفع نفسه ولا ينفع المجتمع ، وتباهى بقوته،

---

(١) رواه أحمد .

ووجهها للفحشاء والمنكر ، أو الظلم والعدوان ، أو لمصلحة نفسه الخاصة ، فغلفها بالأنانية والأثرة فإنه مسئول أيضا عن كل ذلك .

عن أبى بردة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيم أفناه ، وعن شبابه فيم أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن علمه ماذا عمل فيه » (١) .

وقد أعد الله تعالى منزلة عالية للشباب الذى ينشأ فى طاعة الله ، انه من السبعة الذين يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل ، وشاب نشأ فى طاعة الله ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إنى أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه » (٢) .

---

(١) رواه البزار ، والطبرانى ، والترمذى .
(٢) رواه مالك والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى .

والإسلام إذ يحمل الشباب المسئولية ، ويكلفه بالواجب ، إنما يحمله ذلك بعد اكتمال نضجه ، ولا يحاسبه إلا بعد بلوغه ، أما قبل ذلك فقد رفع القلم عنه .

قال ﷺ : « رفع القلم عن ثلاثة : عن النائم حتى يستيقظ ، وعن المبتلى حتى يبرأ ، وعن الصبى حتى يكبر » (١) وفى رواية عن على وعمر بلفظ : « رفع القلم عن ثلاثة : عن المجنون المغلوب على عقله حتى يبرأ ، وعن النائم حتى يستيقظ وعن الصبى حتى يحتلم » (٢) .

وقد حرص الرسول ﷺ على توجيه الشباب توجيها سديدا ، وتحميلهم مسئولية الحياة بالزواج وتكوين الأسرة الذى يدفع الى الكسب والعمل ، فوجههم توجيها يملك عليهم أقطار نفوسهم ، ويكبح جماحهم، ويهديهم سواء السبيل فناداهم بالوصف القائم فيهم، الداعى لهم أن يصيخوا السمع ويرفهوا الإحساس الى ما سيلقى عليهم بعد من توجيه ، فناداهم بوصف الشباب قائلا : « يا معشر الشباب من استطاع منكم

---

(١) رواه أحمد وابو داود والنسائى وابن ماجه والحاكم .
(٢) رواه أحمد وابو داود والحاكم .

الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » (١) ٠

ففى الزواج العصمة من الزلل ، والمحافظة من الانزلاق فى وحل المعصية، أو التردى فى مهاوى الفساد، فإنه أغض للبصر فيكفه عن النظر الى ما حرم الله ، وأحصن للفرج ، فتكون به العفة وسلامة الخلق والدين وحماية الأعراض ، هذا بالإضافة الى ما فيه من السكن والمودة والرحمة ٠

وفى طريق تحمل المسئولية ، ينبغى أن يكون اتجاه الشباب على أساس من العقيدة الصحيحة، استعانة بالله وتوكلا عليه ٠

عن ابن عباس رضى الله عنه قال : كنت رديف رسول الله ﷺ يوما فقال : يا غلام إنى أعلمك كلمات : « احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك

---

(١) رواه البخارى ومسلم ٠

بشىء لـم يضروك إلا بشىء قد كـتبه الله عليك ، جفت الأقلام وطويت الصحف » (١) .

وفى سبيل تحمل الشباب للمسئوليـة ، تركز السنة الشريفة على قيام كل شاب قادر بالعمل، وأداء الواجب المنوط به ، والسعى على المعاش ، فيقوم بالعمل الذى يعف به نفسه ، ويـؤدى ما وجب عليـه حيـال أهـله وعشيرته ، وإن كان له أبوان كبيران وهكذا .. بل ان مثل هذا العمل الشريف الرائد ، ليعتبر فى سبيل الله، له من المثوبة والمنزلة ما للمجاهد .

مر رجل على رسول الله ﷺ ، فرأى أصحاب رسـول الله ﷺ من جلده ونشاطه فقالوا : يا رسول الله ، لو كان هذا فى سبيل الله ؟ فقال الرسول : « إن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو فى سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو فى سبيل الشيطان » (٢) .

وقد وضح الرسول ﷺ للشاب الـذى جاءه يستأذنه فى الجهاد وضح له قيمة مسئولية العمـل من أجل بـر الوالدين فقـال له : أحى والداك ؟ قال : نعـم قال : ففيهما فجاهد .

---

(١) رواه الترمذى .
(٢) الترغيب والترهيب .

ويتفرع جانب المسئولية - فى الشباب - من ناحية السعى والكسب ، والجد والعمل الى ناحية الجهاد فى سبيل الله ، والرمى فى سبيل الله ، وتعلم الوسائل المساعدة على ذلك . فيقول ﷺ : « علموا أبناءكم السباحة والرماية » (١) .

ويوضح قيمة الصناعة الحربية التى تكون فى سبيل الله ، ومن أجل إعلاء كلمة الحق ، وقيمة الرماية ، عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة: صانعه يحتسب فى صنعته الخير ، والرامى به ، ومنبله، وارموا واركبوا ، وأن ترموا أحب الىّ من أن تركبوا، ومن ترك الرمى بعد ما علمه رغبة عنه فإنها نعمة تركها ، أو قال : كفرها » (٢) .

وعن سلمة بن الأكوع قال : مر النبى ﷺ على قوم ينتضلون فقال : « ارموا بنى إسماعيل ، فإن أباكم كان راميا ارموا وأنا مع بنى فلان ، فأمسك أحد الفريقين بأيديهم ، فقال لهم الرسول ﷺ : ما لكم

(١) رواه الديلمى وابن منده .
(٢) رواه أبو داود .

لاترمون ؟ قالوا : كيف نرمى وأنت معهــم ، فقال : ارموا وأنا معكم جميعا » [١] .

ثم يتفرع جانب المسئولية ـ فى الشباب ـ الى ناحية ثالثة ، هى الناحية الإنسانية ، وتلك الناحية تتمثـل فى التعاون ومساعدة الضعفاء وكبار السن .

يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « ما أكرم شــاب شـيخا لسنه إلا قيض الله له من يـكرمه عنـد سـنه » [٢] .

ذلك أن من المعلوم أن الصحة نعمة من النعـم يجب أن يؤدى صاحبها حقها من المساعدة للضعفاء، ومعاونة كل محتاج وكبير .

يقول الرسول ﷺ : « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ » [٣] .

---

(١) رواه البخـــارى .
(٢) رواه الترمذى عن انس .
(٣) رواه البخـــارى .

انحـــرافات الشـــباب
أسـبابها ومعـالجتها

تظهر أسباب انحراف الشباب تدريجيـا على حسب نشأته المتدرجة فى المنزل ، الى الشارع ، الى المدرسة، الى المجتمع ، ثم الى وسائل الاعلام ...

أما بالنسبة للمنزل : فترجع أسباب الانحراف منـه الى عدم تمثل الوالدين للقيم الدينية ، وعدم تمسكهم بآداب الإسلام قولا وعملا وتطبيقا ، وتربية لأبنائهم، والبيت هو أول مدرسة تنمو فيها عواطف الشباب ، وميوله وغرائزه ، وعلى الأبوين تقع المسئولية الأولى بالنسبة للأبناء، فإذا ما رأى الإبن أن الأبوين منصرفان عن التعاليم الإسلامية ويهمـلان شأنها ، ولا يعنيـان بأخذه بها وتربته عليها ، انطلق من البيت ومعه الميول والنزعات القابلة لأى انحـراف بعد ، لأنه لـم يأخـذ الحصانة الأولى من البيت .

ومن هنا فإنه إذا خرج للشارع فوجد انحرافا مـا ، أو سلوكا غير صحيح من بعض الشباب الذين يقاربونه

فى السن ، فإنه لا يجد بأسا فى تقليدهم أو السير معهم، ولا يشعر فى نفسه بأى امتنـاع عن سـلوك الشر أو أى اعتراض من نفسه ، فيسلك ما يسلكون ، ويسير فيما يسيرون فيه ، بل قد يصادفه فى الشارع أو فى الأماكن العامة مثلا بعض المظاهر المخالفة للفضيلة ، فلا يجد فى نفسه إنكارا لها ، بل ربما استهوته تلك المخالفات فأشعلت فى نفسه الرغبة فى الشر أكثر .

وإذا ما ذهب بعد ذلك الى المدرسة التقى بمن فى سنه فيجد منهم نماذج مختلفة ، وطباعا متباينة ، فيها الخير ، وفيها الشر ، فإذا ما زحف الشر عليه ، فمـن المفروض أن فيما يتلقاه من دروس وفيمن يلتقى بهم من أساتذته من قدوة ، كل ذلك يكون من المنتظر منه أن يهذب من سلوكه ، وأن يجعله يتخلى عن رزائلـه، ويتحلى بفضائل جديدة ولكن ضعف التربية وقلة المواد الدينية فى بعض المدارس ، وعدم كفايتها للقيام بالدور الهام الذى ينبغى أن يكون موجها ومربيا ، كل ذلـك لا يكون من شخصية الشباب النفس الصالحة المهذبة ، التى تسير دوما الى الخير .

ثم إذا تنقل بعد ذلك فى جوانب المجتمع الأخرى ، كالنادى أو السوق أو أى موقع آخر ، لم يجد فى تلـك

المواقع من أسباب الخير شيئا ، بقدر ما يرى من أسباب الشر ، ففى المعاملة من بيع أو شراء يصادف المخالفات والبعد عن الحقيقة ، وفى النادى وفى غير ذلك من الأماكن .

وإلى جوار ذلك ما تقوم به المدارس الأجنبية فى بعض البلاد الأخرى من دور فعال ، وما تقوم به الإرساليات التبشيرية لتشكيك الشباب المسلم فى عقيدته ، وأيضا فتح المستشفيات والمستوصفات ، ودور التمريض وغير ذلك ، وإشاعة الدعاية الكاذبة للثقافة الغربية وإبرازها فى مظهر خلاب .. ومع هذه المظاهر تسير المذاهب الهدامة جنبا الى جنب لنشر المبادىء الفاسدة ، كالشيوعية والماسونية والبهائية والقاديانية وغيرها فى بعض البلاد .

ولا يقتصر الأمر على ما سبق ، بل يساعد على كل ذلك « الفراغ » الذى يعيش فيه بعض الشباب ، والذى تهيأ لأن يملأ بأى جديد براق أو أى شىء فيه تسلية له .

هذا بالإضافة الى ما لحق بالأدب نثرا وشعرا أو قصة ومسرحية ، من البعد عن الآداب الرفيعة ، والقيم

العالية ، وهبوطه وتشويه فكره بالإباحية فى مختلف الأعمال الأدبية ، وإشاعة مؤلفات بعض الأدباء الإباحيين فى هذا الصدد ، كما هو الحال فى بعض كتاب الأجانب وأصحاب الأقلام المسمومة .

والشيطان وراء أزمة الشباب بالمرصاد ، إنه دائب السعى بشتى المظاهر والمحاولات للقضاء على القيم الدينية .

هذا وقد ظهر من تلك الأسباب ، ظواهر خطيرة متعددة الأشكال ، برزت من بينها النزعة العدوانية على الأنفس والأموال والأعراض . ثم الاستجابة الى الرغبات اللا إنسانية ، من الخيانة والغش والمجاهرة بالمعصية ، والانحراف ، وعقوق الوالدين ، وعقوق الوطن .

وظاهرة القمار والمخدرات ، وأحيانا يصاب بعض الشباب باليأس حين تضيع من يده الحيل ، وينتابه الشك ، وتطغى عليه الغرائز فى جموح عجيب ، يفقده عقله وعقيدته ، مما يدعوه أحيانا الى التخلص من الحياة ، والانسحاب منها فى صورة بعيدة عن الدين والإنسانية والتعقل ، وذلك فى ظاهرة الانتحار .

وأحيانا تستهويه المظاهر الكاذبة الذميمة من شباب الغرب ، فيحاول تقليدهم ، حين يتشبه بالنساء ، أو تتشبه النساء بالرجال .

وقد لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال (١) .

وقد يظهر فى لبس ما تلبس المرأة ، أو تظهر المرأة بما يلبس الرجل .

وقد لعن رسول الله ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة والمرأة تلبس لبسة الرجل (٢) .

هذا وللأيديولوجيات الأجنبية ، والتبعية الفكرية الأثر الكبير فى تسرب الفكر الأجنبى الدخيل ، هذا الى جانب أن تلك الأيديولوجيات الأجنبية وضعت لمشاكل خاصة لا وجود لها فى مجتمعاتنا الإسلامية ، لا سيما وقد دلت التجارب العملية فى بيئاتها على إفلاسها فى علاج ما وضعت له ، بل إنها قد أوجدت مشاكل اجتماعية واقتصادية جديدة ، هذا وان بريق تلك

---

(١) رواه البخارى .
(٢) رواه أبو داود .

الأيديولوجيات بريق خادع لا يمثل إلا الطعم ، للإغراء بالوقوع فى مخالب الأخطبوط العالمى (١) .

والإسلام لا يعادى العلم ، أو التقدم الصناعى ، بل إنه دين العلم ، ولكن يجب أن يتجه بالعلم الى ما فيه سعادة البشرية وكرامتها وعمارتهـا ، لا الى ما فيـه الهدم والدمار ، أو ضياع الكرامة الإنسانية .

ويقول الأستاذ أبو الأعلى المودودى فى رسـالته : « تحديات العصر الجديد والشباب » :

« ولتلقوا نظرة عابرة الى هذا العصر الجديد الذى يقال عنه بمنتهى الاعتزاز والمباهاة ، إنه عصر التقدم والرقى ، إنه عصر الفكر المتنور ، ومما يمتاز به هـذا العصر هو تقدمه العلمى وهو على كونه أمرا جـديرا بالتقدير والإجلال ، يستغل استغلالا فاحشا فى دمـار البشرية ، وهلاكهـا وبوارها وشقائهـا أكـثر من أن يستغل فى سعادتها وصلاحها .

وبواسطة هذا التقدم العلمى ، يبتكر اليوم لإبـادة الشعوب بأسرها ، أخطر ما يمكن من الأسلحة والأدوات

(١) خمس رسائل الى الشباب المسلم المعاصر للدكتور محمـد البهى ط دار الفكر ببيروت ص ٤٢ وما بعدها .

ويعد لتنكيــل الإنسان وتشويه شخصيته من المعــدات ما لا مثيل له فى تاريخ الشيطانية ، وتكتشف الجاسوسية أساليب لم يبق أمامها أى معنى لحياة الإنسان الخاصة ، وتــكرس الدراسات لتوليــد الإنسان بطــريقة يتــولد الإنسان بعدها فى معامل العلم بدون اتصال الأب والأم بطريقة فطرية .

وطبعا المتولدون بتلك الطــريقة العلمية ســوف لا ينتمون الى أسرة من الأسر ، ولا يميــل بعضهــم الى بعض ، أو الى غيرهــم من الإنسان ميلا فطــريا ، ولا يرتبطون بماض له التقاليــد المتــوارثة ، أو البــذور الممتدة ، وسوف تجهز المصانع الأوادم من كل لون من الألوان ، وكل صورة من الصــور ، وكل شــيمة مــن الشيم ، وكل قابلية من القابليات ، حسب مبدأ الطلب والعرض فى الأسواق ، وتبيعهم للأشخاص أو الشركات والحكومات ، بالمفرد أو بالجملة .

وهكذا يريد تمرد العلماء الملحــدين أن يبلــغ من التدهور نهايته ، ليفتح على البشرية أحدث عصــور الاستبعاد وأسوأهــا ، ينحط فيه الإنســان الى درجــة الأغنام والأبقار ، بل لعل المصانع سوف تعد للأنظمة المناوئة لكرامة الإنسانية فى العالم أوادم عند الطلب ،

يكونون أشد افتراسا من الوحوش الضارية ، هذا هـو التقدم العلمى الذى يفتخر به غاية الافتخار ، ويدعى أنه قد سما بالإنسانية الى آفاق السماء ، مع أنه مـن الحقيقة أنه قدر ما رفع الإنسان قدر ما هبط به ، وأنه جلب على الإنسان الويل والثبور ، أكثر مما وفر لـه الخير والحبور » (١) ا هـ .

---

(١) تحديات العصر الجديد والشباب للاستاذ أبو الأعلى المودودى ص ١٣ ط المكتبة العلمية لاهور — باكستان .

خطوات لعلاج الشباب وحمايتهم من الانحراف

ان أولى خطوات حماية الشباب من الانحراف ، وعلاج ما قد يعتريه من ميل أو خطأ ، تمثل الخطوات الأولى فى الأسرة وبين الأبوين ، حتى يتشرب منذ الصغر روح التدين ، وآثار العقيدة الصحيحة والسلوك النقى ، بالقدوة من ناحية ، وبالتوجيه من الأبوين من ناحية أخرى ، ومن المعلوم أن لنصائح الوالدين أثرا كبيرا ، فهى خلاصة عمر ، ووليدة تجارب ، يقول موسى ابن سعيد العنسى لولده :

واجعل وصاتى نصب عين ولا
تبرح مدى الأيام من فكرتك
خلاصة العمر التى حنكت
فى ساعة زفت إلى فطنتك
فللتجاريب أمور إذا
طالعتها تشحذ من غفلتك
فلا تنم عن وعيها ساعة
فإنها عون إلى يقظتك

ثم بعد ذلك ما ينبغى أن تتضمنه خطبة الجمعة من توجيه أسبوعى رشيد، يتم فيها حصر الشكوك والأوهام التى تساور الشباب وعلاجها ، ومحاولة محو الأثـرة والأنانية ، وسائر الرذائل الأخرى ، والعنـاية بغرس الفضائل الإسلامية ، من التعاون على البر والتقوى ، وحب الخير والبذل ، حتى يشبوا على روح التعـاون والتعاطف والبذل .

ومن أهم ما ينبغى التركيز عليه فى تلك المرحـلة : تربية الضمير الدينى، والعناية باتباع التعاليم الدينية الصحيحة ، وأداء العبـادات وإبراز ما تتضـمنه مـن النتائج والآداب وسائر الآثار الحميدة ، فإن المرجـع فى عظمة شـباب السلف ، إنما كان يتمثل فى سـلامة العقيدة والنشأة الصالحة ، فى البيئة الصالحة ، فى الأسرة وفى المجتمع .

كما ينبغى أن يعنى المربـون والمصلحـون بتنميـة الجوانب المتعددة فى الشباب ، وتقوية الاستعدادات .

وأهم ما يجب أن يتسلح به الشباب فى معركة الحياة « الصبر » ، ذلك لأنه سيواجه فى الحياة صعابا وعقبات ولا يكفى فى حلها ما مارسه الشباب فى مدارسهم ، ولا

فى تجارب الطفولة ، فهم إذاً فى حاجة الى صبر وتحمل، وأشد تلك العقبات : « هوى النفس » (١) .

وبالجملة : فإن حماية الشباب من الانحراف تتمثل فى إزالة تلك الأسباب الماضية للانحراف التى سبق الحديث عنها ، وسد المنافذ أمام التيارات المادية الوافدة ، التى تحاول أن تستولى على عقول الشباب، والتى هى نتيجة جهود المبشرين والاستعمار ، وانها لمحاولة ظالمة تتجنى على الإسلام وأبناء المسلمين ، وتعمل على رسم صورة مشوهة للإسلام فى عقول الشباب ، فإن الاستعمار يعلم تمام العلم أن عدوه الأول هو الإسلام ، يقول أحد المستعمرين فى إحدى خطبه وهو يحمل المصحف بيده : « لن يقر للاستعمار قرار ما دام هذا المصحف بين أيدى المسلمين » .

---

(١) الاسلام فى حياة المسلم للدكتور محمد البهى .

نمــاذج من شــباب الإســلام

لقد كان رسول الله ﷺ هو القدوة الحسنة فى قــوله وفعله وسلوكه ، وفى سائر مراحل حياته ، فى الطفولة، وفى الشباب ، وفيما بعــد المبعث ، كلهــا حياة نقيــة خالصة ، لم تشبها شائبة ، وما عــرف بــين القــوم إلا بالأمــين .

ولقد تخرج من الرعيل الأول نماذج كريمة ، أخذت عنه واقتدت به ، واهتدت بهدى الله سبحانه وتعالى. ومن هؤلاء :

* على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، لقد قام ـ وهو شاب ـ بدور فدائى عظيم ، حين قدم نفسه قربانا فى سبيل عقيدته ، وفى سبيــل الله ورســوله ، لقــد بات ـ ليلة الهجرة ـ على فراش رسول الله ﷺ ، مــع أنه كان على علم بمدى الخطر الذى كان يحدق به من كل جانب ، قائلا : « والله ما أبالى أسقطت على المــوت أم سقط الموت علىّ » .

* وهـذا هو سـعد بن أبى وقاص نموذج فـذ فى التضحية من أجل العقيدة ، حتى وإن تعارضت مع أعز الناس عليه ، ها هو ذا لم يبلغ من العمر عشرين سنة ، يقول : « لما أسلمت وكـنت رجـلا بارا بأمى قالت : يا سعد ما هذا الدين الذى أحدثت ؟ لتدعن دينـك أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فتعير بى ! فقلت : لا تفعلى يا أمى ، فإنى لا أدع دينى ، ومكثت يوما وليلة لا تأكل ولا تشرب ، فأصبحت وقد جهدت ، فقلت : والله لو كان لك ألف نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت هذا الدين بشىء . فلمـا رأت ذلـك أكـلت وشربت ، فأنزل الله سبحانه وتعالى : « وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فـلا تطعهما وصاحبهمـا فى الـدنيا معـروفا » .

* وهذا عبد الله بن عباس كان فى شبابه يمثل الذكاء الحاد ، والعلم الجم ، يقول ابن عباس : كان عمر بن الخطاب يأذن لأهـل بدر ويأذن لى معهـم ، فوجـد بعضهم من ذلك ، فقالوا : يأذن لهذا الفتى معنا ، ومن أبنائنا من هو مثله ، فقال لهم عمر : إنه من قد علمتم ـ أى من جهة ذكائه ومعرفته ـ قال : فأذن لهـم ذات يوم وأذن لى معهم ، فسألهم عن هذه السورة : « إذا جاء نصر الله والفتح » فقالوا : أمر الله عز وجل نبيـه

ﷺ إذا فتح عليه أن يستغفره وأن يتوب إليه ، فقال : ما تقول يا ابن عباس ؟ قلت : ليس كذلك ، ولكن أخبر الله نبيه حضور أجله فقال : « إذا جاء نصر الله والفتح » فذلك علامة موتك « فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا » فقال عمر : تلومونني عليه؟ ثم قال : « ما أعلم منها إلا ما تقول » (١) .

* وهؤلاء صفوة مختارة من شباب الإسلام أدوا مهاما فى غاية التضحية ، وضربوا بها أروع الأمثلة ، إنهم : عبد الله بن أبى بكر ، وعامر بن فهيرة ، وأسماء بنت أبى بكر .

* فأما عبد الله بن أبى بكر : فقد قام - فى ليلة الهجرة - بدور الاستطلاع ، فجمع أخبار الأعداء ، وهى مهمة من أخطر ما يكون » (١) .

* وأما عامر بن فهيرة مولى أبى بكر : فقد مثل الجندية الإسلامية فى أسمى معانيها وأدق صورها ، حيث قام بتوفير الأمان ، فرعى غنم الصديق ، ليروح الى الغار فى الليل ، ليأخذوا حاجتهم منها ، ويعفى بالغنم آثار المشى الى الغار ، فيضل عنهم الأعداء .

---

(١) رواه البخارى ، القرطبى ٢٠ / ٢٣٢
(٢) انظر كتابنا الهجرة النبوية .

* وأما أسماء بنت أبى بكر : فقامت بدور الفتاة المسلمة ، وأدت واجب التضحية على أعظم ما يكون ، فقد أتت بسفرتهما - أى زادهما - ونسيت أن تجعل لها عصاما ، فلما ارتحلا ذهبت لتعلق السفرة ، فإذا ليس لها عصام ، فتحل نطاقها ثم تعلقها به لذلك سميت ذات النطاقين » (١) .

* وهذا معاذ بن عمرو بن الجموح ، ومعاذ بن عفراء ، وموقفهما المشرف يوم بدر ، قال عبد الرحمن ابن عوف :

« انى لفى الصف يوم بدر ، إذ التفت فإذا عن يمينى وعن يسارى فتيان حديثا السن ، فكأنى لم آمن بمكانهما إذ قال لى أحدهما سرا عن الآخر : يا عم أرنى أبا جهل ، فقلت : يا ابن أخى ما تصنع به ؟ قال: عاهدت الله إن رأيته أن أقتله أو أموت دونه وقال الآخر سرا من صاحبه مثله ، قال : فما سرنى أننى بين رجلين مكانهما ، فأشرت لهما إليه ، فشدا عليه مثل الصقرين فضرباه حتى قتلاه » (٢) .

---

(١) ابن هشام ٢ / ١٣٠
(٢) رواه البخارى .

* ومن شباب الإسلام ، الذين كان لهم دور هـام فى الدعوة الى الله ونشر تعاليم الإسلام : مصعب بن عمير ، أول داعية الى الإسلام فى خارج مـكة ، عن عبادة بـن الصامت قال : كنت فيمن حضر العقبة الأولى ، وكنـا اثنى عشر رجلا ، فبايعنا رسول الله ﷺ على ألا نشرك بالله شيئا ، ولا نسرق ولا نزنى ، ولا نقتـل أولادنا ، ولا نأتى ببهتان نفتريه من بـين أيدينا وأرجلنـا ، ولا نعصيه فى معروف ، فإن وفيتم فلكم الجنة ، وإن غشيتم من ذلك شيئا فأمركم الى الله عز وجل ، إن شاء عـذب وإن شاء غفر ، قال ابن إسحاق فلما انصرف القـوم ، بعث رسول الله ﷺ مصعب بن عمير معهم ، وأمـره أن يقرئهم القرآن ، ويعلمهم الإسلام ويفقههم فى الدين ، وكان يسمى المقرىء فى المدينة مصعب ، وكان أن فتح الله للإسلام بالمدينة بجهود مصعب وجهاده (١) .

* ومن شباب الإسلام ، من قدم جهودا ضخمة ، فى ميدان القتال ، وفى ساحة الجهاد فى سبيل الله ، فأبلى بلاء حسنا ، ذلكم هو : أبو دجانة ، ففى يوم أحد أخرج الرسول ﷺ سيفا ، فقال : من يأخذ هذا السيف بحقه؟ فقام إليه رجل فأمسكه عنه ، حتى قام إليه أبو دجانة ، فقال : وما حقه يا رسول الله ؟ قال : أن تضرب به العدو

(١) ابن هشام ٢ / ٧٥

حتى ينحنى ، قال : أنا آخذه يا رسول الله بحقه ، فأعطاه إياه ، وكان أبو دجانة رجلا شجاعا يختال عند الحرب إذا كانت ، وحين رآه الرسول ﷺ يتبختر بين الصفين قال : « إنها لمشية يبغضها الله إلا فى مثل هذا الموطن » .

وروى عن الزبير بن العوام وكانت سنه إذ ذاك أربعا وثلاثين سنة يقول : غضبت فى نفسى حين سألت رسول الله السيف وأنا ابن عمته، فمنعنيه ، وأعطاه أبا دجانة، فقلت : والله لأنظرن ما يصنع فاتبعته فأخرج عصابة الموت ، فجعل لا يلقى أحدا إلا قتله ، قال الزبير : فقلت : الله ورسوله أعلم (١) .

* ومن النماذج المشرفة فى هذا المجال أيضا : الخنساء وأبناؤها وذلك فى وقعة القادسية ، عندما هم المسلمون بفتح فارس ، وقد حضرت الخنساء ، وأوصت بنيها الأربعة ليلا بقولها يا بنى إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين ، والله الذى لا إله إلا هو انكم بنو رجل واحد ، كما أنكم بنو امرأة واحدة ، ما هجنت حسبكم ، ولا غيرت نسبكم ، واعلموا أن الدار الآخرة خير من الدار الفانية اصبروا وصابروا واتقوا الله لعلكم تفلحون . فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها

---

(١) من أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم : محمد محمد يوسف .

وجللت نارا على أرواقها ، فتيمموا وطيسها ، وجالدوا رسيسها تتقربوا الى الله ، وتظفروا بالغنم والكرامة ، فى دار الخلد والمقامة • فلما أضاء لهم الصبح ، باكروا الى مراكزهم ، فتقدموا واحدا بعد واحد ، ينشدون أراجيز يذكرون فيها وصية أمهم لهم حتى قتلوا عن آخرهم ، فلما علمت بمصرعهم جميعا قالت : الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم ، وأرجو من ربى أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته •

ومن خلال تلك النماذج السابقة نستطيع أن نتعرف على ما كان عليه شباب سلفنا من صبر ومصابرة نتيجة إيمان عميق ، وعقيدة صحيحة ، وسلوك مستقيم ، وما اضطلعوا به من جهاد مبرور فى سبيل الحق ، ومن أجل رفع راية التوحيد مرفوعة فوق ربوع الأرض •

لقد مثلوا نماذج متنوعة ، فى جوانب متنوعة ، فمنها نماذج فى الجهاد ، وأخرى فى العلم والتعليم والدعوة الى الله سبحانه وتعالى ، الى غير ذلك من المثل والمبادىء والقيم والأهداف التى ترسموا فى سبيلها معالم الدين القيم الذى رباهم على الرشد والهدى ، وأنشأهم على العزة والكرامة ، ووجههم الى سعادة الدنيا والآخرة •

الفهرس

رقم الايداع ١٨٠٤٢ / ٢٠٠٠
I. S. B. N. : 977 - 5001 - 39 - 0

●●●

مطبعـــة الأزهـــر الشريف
٧٠٠٠ / ١٢ / ٢٠٠٠